إقبال

شاعراً ومفكراً

اعداد وتأليف

مهدي حمود الفلوجي

مجموعة من الكلمات والخطب والمحاضرات

التي ألقيت بمناسبة الذكرى المئوية

لميلاد العلامة محمد اقبال

١٩٧٧

طبع بمطبعة الجامعة ـ بغداد ـ هاتف ٨٨٨٨٥١٣

إقبال

شاعراً ومفكراً

إعداد وتأليف

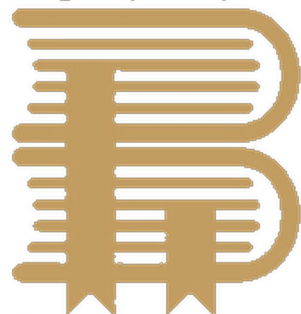
مهدي حمود الفلوجي

مجموعة من الكلمات والخطب والمحاضرات

التي ألقيت بمناسبة الذكرى المئوية

لميلاد العلامة محمد اقبال

١٩٧٧





العلامة الدكتور محمد اقبال في عام ١٩٢٢

المحتـــويات

المقـــدمة

ان الانســان عندما يغوص في بحر التاريخ العالمي الواسع الأرجاء ، يجد العبر في كثير من السـير ، وما سـيرة اقبـال وحياته ونضاله ، الا واحـدة من تلك العبر والسـير •

فهو مخلص في عقيدته الدينية والدنيوية مسطراً الحق والحقيقة للحاضر والمستقبل ، ومستلهماً المعرفة والانســانية من تاريخ الاسلام المجيد الذي هو ضــالته المنشــودة •

وانه لم يأل جهداً بالوقوف على أهم النشـاطات الفكرية حيث أسـهم اسهاماً فريداً في تطور أسـباب الحضارة كما وضع كثيراً من القواعـد في تقدمها واستمرار ديمومتـها •

ان هـذا المركز العظيم للنشاط الثقافي البشري الذي قام به اقبال وأمثاله من العظماء ، هو الذي يعكس نفسه بل ينعكس هو نفســه في سير العظماء والنـوادر من ممثـليه والمسهمين اسهاماً كاملا في شموخ كيانه الضخم العريق الثـابت الاسس ، وهنـا تكمن الأهميـة بدراسـة أولئك العظماء والاطلاع على تطورهم البشري ، والفكري ، والعاطفي ، والوقوف على أسرار معارفهم ونتاجهم وتفهمها تفهماً عميقاً يكشف كوامن المـاضي ويرسم صورة المستقبل•

ولمـا كان اقبـال الشاعر والمفكر والفنان والعبقري العظيم من الصفوة النادرة من عظماء التـاريخ البشري الطويل العريض ومن أكثرهم نتاجاً وأغزرهم مادة وأكثرهم تنوعاً في مجالات النشاطات الثقافية الانسانية زيادة على كونه

ممثلا لأدب وفكر وفلسفة لمجموعة بشرية كبيرة جداً (وهي شبه القارة الهندية) • كان من الواجب العناية التامة لدراسته دراسة عميقة تنفذ الى أدق مكنونات قدرته الشعرية والفنية والأدبية والفلسفية ونستلهم أشعة فكره الوقاد وأضواء احساسه العميق المتوهج وننشرها للبشرية الظامئة اليها لنرويها من كوثر مواهب أحد أبنائها البررة النادرة وجود أمثاله في تاريخها ونغذيها من حقول علومه ومعارفه وآدابه •

لذا عزمت على اخراج هذا الكتاب الذي هو مجموعة من الكلمات والخطب التي القيت في بغداد بتاريخ ٩/١١/١٩٧٧ وفي مدينة كراجي في ١٦ و ١٧/١١/١٩٧٧ بمناسبة الذكرى المئوية على ميلاده وما هذه الخطب وهذه الكلمات الا قليل من فيض بحر اقبال وشخصيته الفذة • آملا أن أكون قد قمت بقسط قليل من واجبي نحو هذا العالم الجليل وهذا المصلح الكبير والله أسأل أن يسدد خطى العاملين لخير أمتهم وبلادهم للاغتراف من كنوز المعرفة والله ولي التوفيق ؟

مهدي الفلوجي

كلمة السيد سفير الجمهورية الباكستانية الاسـلامية ـ ببغـداد

الأسـتاذ معز الدين احمد

التي القيت في الاحتفال المئوي لذكرى ميلاد

العلامة الدكتور محمد اقبال في يوم ٩/١١/١٩٧٧

في دار السفارة الباكستانية ـ ببغداد

ترجمة السفارة الباكستانية ـ ببغداد

حضرات السيدات والسادة :

نحتفل اليوم بالذكرى المئوية لميلاد العلامة محمد اقبال ، وانه من دواعي الفخر ان أشاركـكم في تكريمه بهذه المناسبة .

أعرب عن أسفي الشديد لعدم استطاعتي مخاطبتكم باللغة العربية ، والتمس سماحكم لمخاطبتكم باللغة الانكليزية التي أصبحت لغة الاتصال والتفاهم نتيجة للظروف .

ولد العلامة اقبال في سيال كوت ، وهي مدينة مهمة في مقاطعة البنجاب ، في الباكستان . تلقى تعليمه الأولي عند رجل ذا ثقافة عالية ، وأديب شرقي عظيم ، وهو شمس العلماء مير حسين . فتلقى عنه الأسس العامة في دراسة اللغة العربية واللغة الفارسية ولغة الاوردو ، اضافة الى الانكليزية . وفهم القرآن الكريم والفقه والحديث فهما صحيحاً .

بدأ اهتمام اقبال بالشعر منذ السنوات الأولى من حياته الدراسية . وقد طور أسلوبه متأثراً بشاعر الاوردوية الشهير داغ دلهي . وفي احدى المناسبات أعاد داغ لاقبال كتابه الخطي للأشعار مع ملاحظة يقول فيها ان أشعاره لا تحتاج الى تنقيح ... لقد كان هذا تكريم فريد من نوعه لشاعر شاب من أستاذ شعر ذائع الصيت .

بعد ان تخرج من جامعة البنجاب ، التحق اقبال بجامعة الكمبرج لاتمام دراسته العليا ومنها الى ميونخ حيث حصل على درجة الدكتوراه في الفلسفة . لقد أتم أيضاً دراسته للقانون في لندن وأصبح أستاذاً في اللغة العربية بجامعة لندن . وبعد عودته الى وطنه ، لينضم اقبال الى أعضاء الكلية الحكومية في لاهور بدوام جزئي كأستاذ في اللغة الانكليزية والفلسفة . وبعدها ، أصبح عميد مدرسة الدراسات الشرقية ورئيس قسم الدراسات الفلسفية في جامعة البنجاب ـ وهو المركز الذي بقي محتفظاً به لعدة سنوات . وقد خدم في عدة جمعيات أقامتها الحكومة البريطانية لتنفيذ برامج الاصلاحات التعليمية في الهند . وقد تم جمع ونشر وجهات نظره في الموضوع من قبل معلم هندي آخر معروف ـ وهو الخواجه غلام سعد الدين ـ وقد أسمى كتابه (فلسفة اقبال التعليمية) ، وهي صالحة اليوم ، كما كانت عند اصدارها .

وفي سنة ۱۹۳۳ دعي كضيف من قبل حكومة الافغانستان لاسداء النصيحة اليهم في أمور عامة تتعلق بالتعليم والتوصية للقيام باصلاحات ادارية في جامعة كابل ... وقد أنجزت هذه التوصيات بصورة كاملة .

لقد طور اقبال اهتماماته في مجالات عديدة ، عدا كونه شاعراً وفيلسوفاً ، ومحامياً ، وتربويا ، أصبح أحد كبار رجال الدولة والسياسة في الهند . وخلافاً لبعض العباقرة الآخرين ، كان باستطاعته ان يبلغ مركزاً رفيعاً في مثل هذه المجالات المتنوعة .

كان معروفاً كمحامي واضح الرأي وأميناً في تعامله . ولم يكن جمع المال هدفه قط . لذلك فان الوقت الذي خصصه لمهنته كان لضمان مستوى معيشي لائق ـ والذي تمتع به طوال حياته .



(١) الأستاذ معز الدين أحمد سفير الجمهورية الباكستانية ـ ببغداد عند القاء كلمته في ١٩٧٧/١١/٩ في دار السفارة الباكستانية بمناسبة الذكرى المئوية لميلاد العلامة اقبال •

كان هـدفه العظيم هو تأليف كتاب الشرع الاسلامي . حتى أنه كان قد اختـار عنوانه المسمى (البنـاء الجديد للشرع الاسلامي) . وقد كتب لبعض أصدقائه : « اذا استطعت اتمام هـذا الكتاب ، فسأموت بسـلام » ، ولكنه لم يستطع انجازه بسبب مرضه المزمن بعد سنة ١٩٣٤ .

وقد لعب اقبـال دوراً مهماً في الحيـاة السياسية لشبه القـارة الهنـدية خاصـة كمهنـدس عمل لبنـاء باكستان .

بعث القائد الاعظم محمد جنـاح الرسـالة التالية كتعزية لجاويد اقبال ، لوفاة اقبـال « بالنسبة لي ، كان صـديقاً ، ومرشداً ، وفيلسوفاً ؛ وخـلال أقسى الظروف التي واجهتـها عصـبة المسـلمين وقف كصـخرة ولم ينثني للحظة واحدة » .

كما هو معروف كان السيد محمد علي جنـاح عضواً في الجمعية الوطنية الهندية وكذلك في عصبة المسلمين ، لعدة سنوات وذلك منذ أن آمن في احدى مراحل حياته بأن الاستقلال من الحكم الاجنبي لن يتحقق الا عن طريق التـعاون المشـترك بين الطوائف المتعـددة التي تقطن شـبه القـارة الهندية ، ولكن جهوده لتحقيق هدفه باءت بالفشل . وفي الواقع ، كانت هنـاك فترة من (١٩٣١) الى (١٩٣٤) عنـدما زادت حدة شعوره بهذا الفشل حيث أنه أصر على ترك الهنـد وفكر جدياً أن يستقر في انكلترا . وقد حدث هذا كله في الوقت الذي كان العلامة اقبـال حاضراً في مؤتمر الطاولة المستديرة ، الذي عقدته الحكومة البريطانية في لنـدن لتصميم قانون متفق عليه للاصلاحات الدستورية في الهند ، ولدينا شهادة القائد الاعظم نفسه ـ في ثنائه للعلامة اقبـال جماهيرياً ـ في خطابه الرئاسي الموجه لعصبة المسلمين سنة (١٩٣٤) ، بأن نصائح وتوجيهات العلامة اقبـال جعلته قادراً على التغلب

على حالة اليأس والرجوع الى الهند ليبذل جهوداً أخرى من أجل حل العقدة السياسية في الهند •

ان آراء الدكتور اقبال كانت معروفة جيداً منذ عام ١٩٢٧ • لخص في خطاب الرئاسة الموجه الى عصبة المسلمين في دورتها المنعقدة في الله آباد ، الهوة الموجودة بين الافكار السياسية للطائفتين الرئيسيتين في الهند وقال انه من المؤلم أن نرى ان محاولاتنا لايجاد قاعدة للتجانس الداخلي مثل التي عبر عنها « رنان » في دراساته عن نشوء الاممية قد فشلت حتى الآن » • سأل اقبال « لماذا فشلت محاولاتنا » ، ربما لاننا لا نريد أن نعرف بأن لكل فئة الحق في حرية التطور حسب تراثها الحضاري الخاص بها •

بعد مضي عشر سنوات ، وفي عام ١٩٣٧ ، ومن خلال استعراض التوتر الطائفي والنزاع الذي كان سائدا في الهند حين ذاك ، كتب اقبال الى السيد جناح « انه من الواضح أن الطريق الوحيد لهند مسالمة هو اعادة تقسيم البلاد على أسس العلاقات العرقية ، والدينية ، واللغوية » •

وفي أوائل حياته ، كانت كتابات اقبال بلغة الاوردو ، ولكنه تحول الى الفارسية ، متبعاً أسلوب مولانا الرومي ، وأعظم أعماله كتبت بتلك اللغة.

قال الاستاذ آربري ، وهو أحد عظماء المستشرقين في انكلترا ، في مقدمة ترجمته لـ « أسرار ـ ى بيخودي » ان أسلوب اقبال اصطلاحي الى درجة كبيرة ، فكره ليس من النادر أن يكون معقداً • وغالباً ما يكون على درجة عالية من الدقة بالنسبة للغة التي يختارها ليعبر بها عن فكره ، بينما تجعل غزارة مخيلته الشعرية القارىء غير متنبه لسرعة الانتقال وغير مدرك للوحدة التصويرية والاستيعابية المتضمنة في تنوع صوره البلاغية ««

لقد أشرت سابقا ، بأن اقبـال كان تلميذا حاذقا في الفلسـفة والآداب الاسلامية . اضافة الى ذلك ، توفرت له الفرصة للقيـام بدراسة واسـعة للأعمال الفلسفية والعلوم الحديثة في أوربـا . وهكذا فقد كان قادرا على ملاحظة نشوء الفكر الانساني منذ ظهور الاساتذة اليونانيين مثل سـقراط واريسطوطاليس عبر العصور ـ وظهور المسيحية وبعدها الاسلام ـ وبعد ذلك تفاعل الفلسـفات القـديمة مع الحديثـة ، وتأثيرها على عقـول المفكرين المسـلمين ، وعلى الموجات العارمة التي شـهدها تطور الفكر الانساني في معظم النواحي المعروفة في هـذه الاقطار وأسـبانيا ، وتأثيرها على أوروبا في القرون الوسطى ، والتي تبعته فترة من السبات النسبي في البحوث العلمية للمفكرين المسلمين . وفي نفس الوقت كان هنـاك انفجار مفاجيء للبحوث العلمية ولتطور المعارف الانسـانية في أوربـا وبعض المناطق الاخرى . وقد حلل اقبـال كل هذا في ذهنه ورسم استنتاجاته الخاصة به .

ان أعماله في الحقيقة هي نتـاج هـذه الدراسة التي استمرت طوال حياته لترينا نهضة وسقوط الامم والافراد والمبـادىء الاسـاسية التي يجب عليـهم معرفتها واتباعها اذا أرادوا النجاح في هذا العالم المـادي وكذلك الوصول الى هدوء البال ، والذي يعتبر أهم من المكاسب المـادية بكثـير . في هـذا البحث ، أستطيع ان أشير بصورة عامة على مجالات ابحاثه راجيـاً اثـارة اهتمامكم في خطه الفكري حتى يستطيع الكثير منـا دراسـة أعماله بشكل أوسـع ، عندما يسـعنا الوقت ، ومن حسن الحظ ، لقد ترجمت أعماله الى عدة لغات ، وأكادمية اقبـال في باكستان تبذل كل ما في طاقتها لتجعل أعماله متـوفرة لاعـداد أكبر من النـاس وذلك بترجمتـها الى اللغات الاخرى بقدر الامكان .

ولا يعتبر تركيز اقبال على تعاليم الاسلام كمبادىء مثالية يتبعها الانسان - لصالحه - تفاخراً طائفياً ضيق الذهن منه ، وانما هي قضية قناعة أصيلة التي جعلته يفعل ذلك • وقد استفاد في عمله هذا من معلوماته الواسعة عن الآراء الاخرى كما أنه اعتمد في تكوين استنتاجاته على الدراسة التحليلية التي قام بها • ان مقالاته المنشورة بعنوان « اعادة بناء الفكر الديني في الاسلام » تشير بوضوح الى عمق معرفته والقيمة النسبية للآراء المختلفة •

الحياة - طبقاً لاقبال - هي عملية استيعابية الى الامام جوهرها الخلق المستمر للرغبات والمثل العليا • أما الشخصية فهي حالة توتر كما انها من أثمن منجزات الانسان • عليه فان الانسان يجب ان لا يتراجع الى وضع خامل • وهكذا ، فان النفس الانسانية لها ثمة رسالة على الارض ذات اتجاهين • من ناحية ، عليها أن تكافح بيئتها وأن تتغلب عليها • وبذلك تنال حريتها وتتقرب من الله • ومن ناحية أخرى ، على النفس الانسانية ان تحتفظ بحالة توتر ثابتة وبذلك تنال الخلود • وببلوغ الحرية والخلود تتغلب النفس على المكان من ناحية وعلى الزمان من الناحية الاخرى •

هذه خلاصة فلسفة اقبال حول الذات • ومن الواضح ان قاعدة هذه الفلسفة هي الايمان القوي في تطور الانسان في ثلاث اتجاهات - الحرية الشخصية ، والخلود الشخصي ، وظهور الانسان المتفوق • وبلوغ هذا لا يتم الا عن طريق تحصين الشخصية • يقول اقبال « ان فكرة الشخصية تعطينا مقياساً للقيمة • فهي تحل مشكلة الخير والشر - فالشيء الذي يساعد على تقوية الشخصية فهو جيد ، والذي يضعفها فهو سيء • الفن ، والدين ، وعلوم الآداب - يجب أن تقيَّم من خلال وجهة نظر الشخصية • » يشير اقبال الى العوامل والضغوط التي تقوي الشخصية وهي :

(١) الحب (٢) الفقـر (٣) الشجاعة
(٤) التسـامح (٥) الكسـب الحـلال والعيش الشـريف
(٦) المشاركة في النشاطات الاصيلة والخلاقة .

الحب بالنسـبة لاقبال يعني ، الروح المولدة للكون ، وهي الروح التي يجب أن تحـل معضـلة الحيرة الانسـانية وتزود الانسان بمضـاد طبيـعي لكل عيوبه . كتب اقبال لنيكولسون البروفسور في جامعة كامبرج « ان هذه الكلمة تسـتعمل بمعنى واسـع للغـاية وهي تعني الرغبـة في الاسـتيعاب والامتصاص . وشكلها الاسمي هو خلق القيم والمثل ومحاولة ادراكهما ».

ان النقطة المضيئة التي اسمها النفس
هي نقطة الحيـاة تحت التراب
وبالحب تصـبح أطول عمراً
أكثر حيـاة ، أكثر توهجاً ، واحترافاً
فلتحول حفنة الطين الى ذهب
وقبل عتبـة الانسـان الكامل
من نبيـذ الحب تنبع عـدة خصائص روحانية
وضمن صفات الحب الولاء الاعمى ،
كن محبـاً وفيـاً في ولائك لمن تحب ،
حتى يمكنك ان ترمي الانشـوطة وتمسك بالرب .

الحب لا يشـعر بالاوزار ، ويستخف بالمتاعب ، ويجرب ما هو فـوق طاقته ، ولا يعتذر بحجة المستحيل ، لأنه يعتبر كل الاشـياء محـللة له ، وكل الاشـياء ممكنـة . ولذلك فان بامكانه أن يتكفل كل شيء ، ويكمل أشياء كثيرة ـ ويجـد لها النتـائج عنـدما يصـاب الذي لا يحب بالاغمـاء ويرقد أرضـاً .

الفقـر : ان من الصعب أن نجد كلمة مناسبة له في الانكليزية ٠ انه ليس الفاقة والحاجة ٠ انه يعني الترفع عن مكافئات هذا العالم ، والآخر ، والتي يطمع فيها معظم الفرد المادية ، باكتشافه درعاً يقيه من الاغراءات التي تحيط الفرد في هذا العالم ٠ واقبال يضع ألفقر في أسلوبه الذي لا يقلد ، على هذا النمط : ــ

فقر واحد يعلم الصياد فن الصيد
وفقر واحد يعلم أسرار قهر العالم
وفقر واحد يجلب للأمم الفاقة والكآبة
وفقر واحد يهب الطين ماء الحياة ٠

ما هو فقر المؤمن ؟ ــ انه الانتصار على المكان والزمان ٠ انه يهب العبد صفات السيد ٠ « ففي مسودة كتبها تشرشل ا تي ٠ اى ٠ لورنس كاد أن يصل لتعريف صحيح للفقر ــ وذلك عندما قال « ان العالم ينظر بشيء من الخشية الى رجل يظهر غير مكترث ، وغير مبال بالمسكن ، والمال ، والراحة ، والمركز أو حتى القوة والشهرة ٠ يشعر العالم ، لا عن عدم ادراك ، ان هناك شخصاً خرج على نواميسه ، شخص يضع العالم كل اغراءاته أمامه بلا جدوى » ٠

التسامح : ــ ان التسامح يمثل بالنسبة لآراء الناس الآخرين وأخلاقهم قوة ذا مرتبة عالية ، وتربيته ذات فائدة لأي مجتمع انساني وقد أشار اقبال الى « ان مبدأ عمل استمرار النفس هو احترامها كما انه احترام الآخرين » ٠

ان من الخطأ التفوه بكلمة رديئة

الكافـر والمـؤمن همـا من خـلق الله
تتكون الانسـانية من احترام الانسـان
لـذا أعـرِّف كرامـة الانســان
الانســان المحـب يهتـدي من الله
وهو كريم مع الكافر والمؤمن على حد سواء.

الكسب الحلال : في لغة الفقهاء ومعـلمي اللاهوت تعني « التحصـيل الغير مكتسب عن طرق خبيثة ، مثـل الغش والنصب والسرقة » ، بالنسـبة لاقبال فان لها معنى أوسـع ـ وهي الحصول على الاشياء أو الافكار عن طريق المجهود والكفاح الشخصي فقط • وهذا يعني وصف العلاج لجميع الذوات والحيـاة عن طريـق المجـهود والنضـال وكذلك الاسـتبعاد الكلي لأفكار انكار الذات •

أخرج من ترابك النـار الخفيـة
لأنه لا خير في الحصول على ضوء من الآخرين •
« لا تحقـر شخصـيتك بتقلـيد الآخـرين
احرسـها ، لانها جوهرة لا تقـدر بثمن »•
« ان الـذي لا يمـلك قـدرة الخـلق
بالنسبة لنا لا يعتبر شيء الا كافر وضال »•
« الفشل في أي مجهود خلاق لا يدل على شيء ـ
ان مجـرد المحـاولة تـكون مؤثرة وخـلاقة »•

ويسـتمر اقبـال بتـعداد المؤثرات التي تؤدي الى ضـعف الشخصية ـ المؤثرات التي من الواجب التغلب عليها ، ألا وهي : ـ

(١) الخــوف (٢) التســول

(٣) العبودية (٤) الكبريــاء

الخوف بأشكاله المختلفة ـ أي الهم والقلق والغضب والحقد والخجـل • هي أعظم اعــداء الجنس البشري ، وهي من أكثر المؤثرات اعـاقة للنمو البشــري ، ان الخوف قد سلب الانســان معظم كفــاءته وســعادته ، وخلق جبناء أكثر وفاشلين أكثر من اي تأثير آخر •

ان الخوف يخلق جميع أنواع التطورات العاطفيــة الغير الصحية والغير الاعتيــادية في الانســان ، والتي تفســد طبيعته وتســفه نموه الاخلاقي • علمــاء النفس المحدثون مثــل ـ فرويد ، وينــغ وادلر ، تحروا عن تأثيرات الخوف البعيدة المدى على الطبيعة البشرية وقد أثبتوا أن معظم الشواذ من البشــر ، المشاغب والجبــان والطاغية والدكتاتور نشــأوا أصلا بدافع الخوف المكبــوت •

آه ، انك مسجون بين جدران القــلق ،

فليعلمك النبي أن « لا تحــزن »

فاذا كان هنــاك اله أمامك ، فلتتخلص من القلق ،

وكذلك من فكرة الربح والخســارة

لأن قــوة الايمــان تضيف للحيـــاة

على الواحد منــا ان يتــلو دائمــاً « لا تخف »

وعنــدما يذهب موسى الى فرعــون

يكتسب قلبه القوة من كلمات « لا تخف »

ان الخوف من أي كان عدا الله يؤذي الفعل

لأنــه لص في قافــلة الحيــاة

ذاك الذي فهــم ســر المصــطفى

يـرى الخيـانة في الخـوف ٠

التسـول : ـ خلافاً للاستعمال العـام ، يستعملها اقبال لنشـمل كل ما ينجز بدون مجهود شخصي ٠

بالسـؤال ، يصبح الفقـر أكثر دنـاءة
وبالتسـول ، يصبح المتسـول أكثر فقراً
فالسـؤال يسـحق النفس
ويحرم غابـة سـيناء النفس من الضـياء ٠

العبودية : ـ وبالمثـل ، فان العبـودية تشـوه الشخصية وتهين الطبيعة البشرية وتحط الانسـان الى مسـتوى الوحوش ٠

في العبـودية يقتـل القـلب في الجسـد
في العبودية تصبح الروح حملا على الجسـد
في العبـودية تـتفرق الجمـاعة
هـذا وذاك يخاصـمون ذاك وهـذا ٠

أنفق اقبال وقتـاً وفكراً كثيرين لرسم الخطوط الخارجية للمجتمع المثالي ـ وهو يضـع ثماني متطلبات جوهرية ، وهي :

(١) يجب أن يبنى المجتمع المثـالي على اعتبارات روحية مثل الاعتقاد بوحدانيـة الله ٠
(٢) يجب أن يتركز حول قيـادة ملهمة أو النبـوة ٠
(٣) يجب أن يمتـلك دليـلا ليرشـده ٠
(٤) يجب أن يكون لـه مركز ٠
(٥) يجب أن يكون له هدفاً واضحاً يجاهد نحوه كل المجتمع ٠

(٦) يجب ان يتفوق على قــوى الطبيــعة •
(٧) الانـا الجماعية يجب أن تنمى بنفس الطريقة التي يتم بها تنميــة الانـــا الفرديــة •
(٨) يجب أن تصــان الأمومــة •

ان الذي يقود الى اتحــاد مئات الافــراد
ليس الا سراً من أســرار التوحــيد •
الدين ، والحكمة والقــانون هم كل مؤثراته •
القدرة والقوة والتفوق ينبعون منــه •
ان تأثــيره يرفع العبيــد •
وبالفعل يخلق منــهم جنســاً جديــداً
وهو يصرف الخوف والشك ، وروح الفعل تحيــا
وتــرى العين ســر الكون ذاتــه •

لقد بينت بايجــاز شــديد التيــارات الاساسية في فكر اقبــال والتي طورها في أعماله • ان هذا التلخيص هو مجرد صورة صغيرة . فقد تركت نواح عديدة لضيق الوقت ، ولكن الذين قرأوا أعماله يعلمون كيف حرص اقبال على الاسهاب في التحدث عن تطور المعرفة الانســانية عبر العصور ـ وهو خط جعله يركز تركيزاً غير لازم على طور من أطوار البحث العــلمي ، مخلا في ذلك بالموازنــة التي وحــدها تقود الى الكمال • ان مناقشــــته القيــمة للنظريات الميتافيزيقية المعقدة والمتعلقة بتطور الانسان ، ووجود الله وما شابه ذلك ، لا يمكن ذكرها بشكل عابر في هــذه المناقشة خوفاً من تشــويهها • فهي تتطلب وقتاً وفراغاً لدراستها بشكل كامل بغيــة فهمها •

ان اقبـال لا ينتمي لباكستان فقط ولكنه ينتمي للعالم الاسـلامي كله .
لقد عاش وعمل من أجل فهم أفضل لتعـاليم الاسلام . كان مصـلحاً متبعاً أثر الشـاه ولي الله من دلهي ، وجمال الدين الافغاني ومفكرين آخـرين من العراق وتركيـا ومصر .

انتهز هـذه الفرصة لأشكر حضراتكم ، أيها السيدات والسادة باسمنا جميعاً الحاضرين لأن تفضلكم بحضور هـذه المناسبة قد شرفنـا .

الكلمة التي القاها السيد/مهدي حمود الفلوجي
في الذكرى المئوية لميلاد العلامة محمد اقبــال

في الســفارة الباكستانية ببغداد يوم ٩/ ١١/ ١٩٧٧

اقبال شاعراً ومفكراً :

سيداتي وسادتي   أيها الحفل الكريم

ان مبعث شعور الانسان بالسعادة لا يقتصر على مصدر محدد يستمد منه تدفقه المندفع كالسيل من أعماق نفسه غامراً كل كيانه برونقه البهيج ملتمعاً في عيونه ببريق النشوة البريئة ، مترقرقاً في أديم وجناته بحمرة الورد في ريعان الربيع • بل هو مرتبط بألف عقد وميثاق مع ما لا عدّ له من المصادر السخية التي تبسط أمامه غيرها عارضة عليه ان يغترف منه ما يشاء •

والشعور بالسعادة بالنسبة لغالبية الناس الذين يرفضهم المفهوم العميق للحياة ويصُدّ دون رؤيتهم المعنى الحقيقي الذي ينهض من أجل تحقيقه الوجود ، ولا يعلمون عن السعادة الا أنها كامنة بعوامل الربح المادي ، أو الانتصار العاطفي في حل عقدة هجران ، أو تحقيق لحظة اتصال وسوى ذلك من الشعور الساذج بالسعادة الساذجة التي ما ان ينقضي وقتها حتى تختفي متلاشية كتلاشي السراب وكأنها لم تخلق •
غير أن ثمة شعوراً بالسعادة ذا قيمة آنية مستمرة الى غير ما حدٍّ وهذا النوع هو الذي ينتاب الشاعر أثناء عملية خلق القصيدة وبعد الانتهاء منها ، أو ابتكار الفيلسوف نظرية جديدة لم تخطر على ذهن كائن بشري قبله ، وأمثالهما من الاحساس بالسعادة •

ان هذه السعادة هي التي نقصدها هنا في الوقت الذي نحتفل فيه بمرور مائة عام على مولد العبقري العظيم ، الشاعر والفيلسوف محمد اقبال شاعر الهند والباكستان والامة الاسلامية وفيلسوفها • وانما ساوينا شعورنا بالسعادة لاشتراكنا بتخليد هذه الذكرى السامية بشعور الشاعر الخلاق والفيلسوف المبتكر ، بسعادة خلق الأول عمله الشعري ، وابتكار الثاني لنظريته الفلسفية ، ذلك لأننا نعتقد أن الانسان الذي يكرم عبقرياً من النوع المذكور يتجسد خلال القائه آيات التكريم روح العبقري ويستلهم حالته التي يعيشها حال انغماره في عملية الخلق أو الاكتشاف وبذلك يرتفع شعور المكرم بالسعادة الى مصاف شعور الخلق والابتكار بالسعادة •

ان هذا الشعور الاخير نفسه أخذ بمجامع قلبي ، وملك علي حواسي ، ونفى عن مشاعري هذا العالم المادي الذي يسبح في أمواجه جسمي ، وحملني الى عالم روحي متسام صاف شعرت أني انفصلت به عن كياني وأصبحت محض روح خالص ، وقد ساورني احساس أنني تحولت الى صورة شعرية مبتكرة من صور اقبال الشعرية المعجزة أو فكرة فلسفية نادرة قفزت الى ذهنه من عالم الغيب فجأة فحطت في مكانها الملائم من تفكيره الفلسفي ، أو خيال خفاق خف الى نواظره وهو يحاول الاستسلام للرقاد فيمنحه السهر اللذيذ ويبعثه نشوة عارمة •

انني أرجو من الاخوان ألا يتصوروا كلامي هذا مجرد انشاء جميل أحاول فيه ان أستدرج العواطف الى شواطيء الاعجاب ببياني ، بل انني أطمح منهم أن يستلهموا حالة عاشق مبهور بجمال معشوقه حد الجنون ، ويشعر هذا العاشق بأنه سيحيى ساعة قرب المعشوق ، ساعة أمدها مائة عام ، فكيف تكون مشاعر ذلك العاشق ؟ انني أترك التقدير لكم ايها السادة •



(٢) السيد مهدي حمود الفلوجي عند القاء كلمته في ١٩٧٧/١١/٩
في السفارة الباكستانية بمناسبة الذكرى المئوية لميلاد العلامة اقبال

فاقبال في هذه الساعة التي تنجسدها مائة عام امتلأ معظمها ابداعاً وابتكاراً وكفاحاً وثورة وكتابة ونقداً وتوجيها وارشادا . مائة عام جلّها عمل متواصل في سبيل رفع راية الشعر فوق أجواز السماء ، واقامة الفلسفة على قاعدتها الراسخة بعد تشذيبها من زوائدها وتلقيحها بابتكاراته التي أملاها عليه العصر وتجاربه الفنية ، العقلية والعملية ، التي استوحاها من توقد ذهنه وغنى حياته ، عاقداً قراناً بينها وبين الدين الاسلامي بعد تجديد بنيانه المكين ليهيىء عالماً أفضل يعيش بظله الناس نواباً لخالقهم بعد أن يرفضوا أن يفنوا أنفسهم في أي شيء مهما كان ، وان يلجأوا الى تحقيق ذاتهم بعد أن يسحقوا ضعفهم ويمنحوا أنفسهم قوة ايمانهم بالخالق والحياة - لينطلقوا من ذاتهم المحققة في حركة تصاعدية مستمرة في سبيل الحصول على الكمال الذي لا تمتلكه الا الذات العليا التي هي ذات الله المتفردة والتي لولا تفردها لما استطاع الخالق أن يخلق هذا الكون العظيم ، وبمحاولتهم التمثل بصفات الخالق كالذات المتفردة والكمال ، فانهم سيبلغون لا محالة اذا التزموا بالمنهج القويم الذي يحقق لهم حريتهم ويملكهم شخصيتهم اللتين بواسطتهما يقتربان من الذات العليا وتفردها وكمالها ... وفي هذه الحالة يستحقون أن نشد على أيديهم وأن نهنئهم على فوزهم بصفة نيابة الخالق . هذه الدرجة التي اذا فاز بها كل فرد من الافراد قفز المجتمع من الارض الى السماء ، اذ انه حينئذ يحقق المجد الالهي الاعظم .

لقد كانت قصائد اقبال (أسرار الخودي) و (رموز بيخودي) التي تحدث فيهما اقبال عن فلسفة الذات لا يتجاوز المفهوم الذي عرضناه ، وهو ينهج في نظمها منهج أستاذه جلال الدين الرومي في كتابه الجليل (المثنوي) ويستوحي أفكاره في الذات كما يستفيد في عرض نظرية

الانســان الكامل من أفكار دينيــة اسلامية ومن مفكرين اسلاميين غير مهمل الاستفادة من الفلاسفة الاوربيين بما يتلاءم وروح الاسلام .

ان حيــاة اقبــال سلسلة متصلة الحلقات اعتبــاراً من يوم ميــلاده في الثــاني والعشرين من شــهر شــباط عام ١٨٧٧ حتى وفــاته في ٢١ أبريل، سنة ١٩٣٨ وقد عاش هذين التاريخين بكل ما يمتلك من احساس مرهف ، وعقل ناضج ، وجهد متواصل ، وكفاح لا يعرف الهدوء ، عاشــهما طالبــاً وأســتاذاً ومحاميــاً .. عاشهما شــاعراً عظيماً أرغم حتى المســتحيل على الاعتراف بقدرته الجبارة ، عاشهما فيلسوفاً متجدداً متحرراً ، مبتكراً لنــظرية جديدة تخلق التقدم الامثل لمجتمعه وترفع عنه سحب الشقاء والجهل .. عاشــهما سياسياً ثائراً ومصلحاً اجتماعياً ..

ومــاذا كانت النتيجــة ؟ ..

لقد رســا زورقه أخيراً بصمت محزن في مينــاء النــهاية التي قادته الى اللانهاية .. اللانهاية التي يحن الى حل رموزها البشر منذ وجودهم على الارض ولكنهم لم يظفروا منها الا بقهقهات الاستهزاء .

ولكن بعد ان حمل نفسه وقلبــه وروحه وســافر في قارب النهاية الى اللانهاية .. ماذا ترك لنــا ؟   ماذا ترك لعــالمه ؟ !

انه أخذ شــغاف قلبه وقد ثقبه الالم على تعاسة أهل الارض وترك لهم عصارة قلبــه شعراً عبقرياً ســاحراً يقرأونه فينتشون به ، .. ويبصرون طريق الحيــاة الســوي ويتجنبون المشــائك ، .. ويوفوا على ينابيع المطامح الصــافية فيغترفون منها بكل ســعادة وهنــاء كلما يشتهون .

انه ترك رفيق روحه مستوطناً كل روح نقاءً أبدياً يمنعها عن أن تقترب من الاوحال •

انه ترك لهم فكره دليلا فلسفياً يقودهم كالشمس الساطعة في الظلمات القاتمة ويبلّغهم أقصى ما يحلمون به من المطامح المشروعة •

انه ترك لهم كلما يحتاجونه اليوم في الارض وما يحتاجونه غداً في السماء • فهل يريدون منه أكثر من ذلك ؟

أعطى اقبال لشعبه الذي أراد توحيده وعمل من أجله ففشل ، فلجأ الى الدعوة الى تكوين دولة اسلامية تضم المسلمين ، ودولة غير اسلامية تضم غيرهم من سكان الهند لقطع دابر المنازعات وانهاء المشاكل ونشر أجنحة السلام على الارض الهندية •

أعطى اقبال لأمته تجديد دينها الذي ارتفعت بواسطته أمس الى أرقى مراقي الحضارة ولاستطاعت أن ترفع اليوم أكثر لو التزمت به •

أعطى العالم أجمع نظريته في الذاتية والانسان الكامل لينقذه من ضعفه وافناء نفسه بسواه •• ليمنحه حريته وشخصيته اللتين يحققان فرديته توصُّلاً الى درجة الكمال والنيابة •

هذا بعض ما أعطاه اقبال للعالم ••• فماذا أعطى العالم لاقبال ؟

لم يبخل العالم النقي الوفي على اقبال بكل ما يستطيع ، ولن يبخل ، وحسبه أن له تمثالاً من النور في قلب كل حي ـ أقول حي ـ لأن كثيراً من الناس يبدون أحياء ولكنهم أموات في الحقيقة وهؤلاء ليس لاقبال ولا لنا أي اهتمام بهم •• حسبه أن قصائده ترنمها الأرواح الطاهرة •• والنفوس الزكية •• حسبه أن تتخذه البشرية الحرّة أحد قوادها القلائل

في معركة الحرية مستهدية بآثاره الخالدة بعد أن خوّلها التصرف بها ولكن بأمانة .

نحن لا نملك يا اقبال الا أن نحييك تحية البحر للشمس وتحية الحقول للمطر .. وستبقى حياً أزلياً مادام في العالم قلب ينبض ومادام في الأفق بريق يومض .

وتحية اجلال واحترام لك ولشعبك المناضل - الشعب الباكستاني الصديق . ولتتحد قوى الخير في العالم من أجل التحرر والتحرير وبناء المجتمع الزاخر بالمستقبل الفاضل وبالحياة الحرة الكريمة ، وتحية من عراق السابع عشر من تموز ، عراق العروبة ، عراق الثورة ، عراق الوحدة والحرية والاشتراكية الى كل الشعوب المناضلة وخصوصاً الى الشعب الباكستاني فالى أمام أيها الشعب الصديق في اقتفاء سير زعيمك الراحل اقبال لتنال مكانك اللائق ومقعدك السامي بين الامم والسلام عليكم .

المحاضرة التي القاها السيدمهدي حمود الفلوجي

في مركز مؤسسة همدر الطبيـة

في كراجي يـوم ١٦/١١/٩٧٧

باللغة العربية ـ وترجمها الى اللغـة الأوردية الدكتور موسى ـ

أحد منتسبي مديرية الآثـار في كراجي ـ باكسـتان



(٤) السيد مهدي حمود الفلوجي عند القاء كلمته في قاعة مركز مؤسسة همدرد في كراجي في١٦/١١/١٩٧٧بمناسبة الذكرى المئوية لميلاد العلامةاقبال

بسم الله الرحمن الرحيم

من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر ، وما بدّلوا تبديلا . صدق الله العظيم .

سـيداتي وسـادتي

أيهـا الحفل الكريم :

كتب ان يكون لمواطن عربي عراقي من أهل العراق الثائر - عراق السابع عشر من تموز ، عراق الثورة عراق الوحدة والحرية والاشتراكية ، بين ظهرانيكم ، لزيارة باكستان الحبيبة المسلمة ، باكستان المناضلة ، باكستان الأم الرؤم لأبنائها البررة . وكان هذا العراقي هو الماثل أمامكم . استميحكم عذراً وأقدم لكم أسمى واعظم آيات الشكر والتقدير والاحترام ، مقدماً أحر واعظم تحيـة لمؤسسة (همه درد) ورئيسها العالم الجليل الحكيم محمد سـعيد ، الذي هو بحق أعظم صديق لي ولأهل العراق خاصـة ، وللمسلمين عامة . وقد حضر هـذا العالم بغداد ما بين ٢٥ - ٣٠ من شـهر تشرين الأول المـاضي ، لحضـور الحفل التكريمي للمؤرخ الانجـليزي « توينبي » بدعوة من الحكومة العراقية ، واتحاد المؤرخين العرب ، وناهيكم عن هذه الشخصية المحبوبة ، ذات الخلق الرفيع وسـعة الاطلاع وحسن البيـان ، وتمنيتكم جميعاً ، « أن تروا هـذا الحكيم - محمد سعيد » عندما ألقى محاضرته القيمة بعنوان « المؤرخ توينبي - أدرك التـاريخ من خلال ادراكه للاسـلام » - **Toynbee the Historian - A Perspective - A Prospect for Islam**

وكانت هذه المحاضرة قد أذاعها من منبر المؤرخ العربي ، في قاعة الرباط ببغداد ، وقد أخذتها الاذاعة والتلفزيون العراقية ، وقدمتها الى الشعب العراقي ، أثمن هدية في تلك الايام الخالدة ، اضافة الى أن الصحف والمجلات العراقية ، قد زينت صحائفها الأول بهذه المحاضرة ، مع صورة العلامة الحكيم محمد سعيد .

وبهذا يعتبر بحق انه مثل باكستان في هذا المؤتمر على الوجه الاكمل ، وعبّر عن شعوره الفياض الصادق باخلاص وأمانة لقضية العرب والمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، وحقق في انشاده هذه المحاضرة الوحدة المتكاملة بين المؤرخ المنصف والمسلم الشريف النبيل .

واني اتقدم بالشكر الجزيل لهذه الشخصية الباكستانية الفذة التي أتاحت لي هذه الفرصة ، لأتحدث اليكم عن واحد من أشهر ، صناع الأدب والفلسفة والتاريخ العالمي والاسلامي ، ألا وهو العلامة الكبير ، الشاعر والمفكر والفيلسوف « محمد اقبال » .

أيها السيدات ، أيها السادة :

ايها المستمعون ، اسمحو لي بأن أتحدث اليكم ، وهاكم اقبال الثائر الحر ، الشاعر والفيلسوف ـ بكلمة عنوانها :

« ثورة اقبال الفكرية والشعرية في القرن العشرين »

ان أعظم أوسمة الفخار ، وأكرم ألقاب المجد ، وارفع مراتب الملك لتتضاءل ازاء نيل شرف وقوف المرء موقفي هذا مكرماً شاعر الباكستان والهند وفيلسوفهما العظيم ، بل شاعر الشرق أجمعه في عصره وشاعر الاسلام وفيلسوفه في هذا القرن ، العلّامة محمد اقبال وذلك لمناسبة مرور مائة عام على اكتحال عيني الوجود بنهار محياه المتلألىء .

ان فجر الثـاني والعشرين من شـباط عام الف وثمانمائة وثلاثة وسبعون للميـلاد ، كان فجراً خالداً في تاريخ شـبه القـارة الهنـدية ، وفي تاريخ الباكستان ، وفي تاريخ الأدب والشعر والفلسفة ، وفي تاريخ الدين الاسلامي ومعتنقيه من الشـعوب والأمم المختلفة على امتـداد مساحة الكرة الأرضية وأزمنتـها(١) •

ان من حق ذلك اليوم أن يتيـه اختيالا على الايام ، ويشـمخ زهواً وافتخاراً على الدهر •• اني لأتخيل نجوم سمائه يتهامسن فيما بينهن فرحاً واستبشـاراً ، ويتراشقن بالاشعة الفضية مرحاً وحبوراً ويبعثن الى غابات « البنجاب » وحدائق « سيالكوت » (احدى مدن مقاطعة البنجاب) مسـقط رأس اقبـال) برسـائل التهاني والغبطة ، التي تكتبها الأضواء ، وتحملها الرياح البـاردة •• وكيف لا تحتفل الطبيعة ، ولا يعقد الكون مهرجاناً ، وقد ولد نابغـة عبقري لا يسـعد الله بمثله الارض الا نادراً •

ان من أكثر الامور اثارة للغرابة أن برد شـهر شـباط القارس وجليده الغزير لم يمتلك جرأة التسلل الى عروقه لطبع دمائه بطابعهما •• بل بعكس ذلك فان ما يتصفان به من سمات باردة قد تحولت في دمـاء الوليد العبقري لهبا مقدسا بقي مضطرما طوال حياته وازداد اشـتعالا على اشـتعال بعـد رحيـله الى الضفة الاخرى مكوّناً منـارة أبدية تسكب أنوارها الوقـادة في آفاق البسيطة الواسعة غاسلة عنها الظلمات الكثيفة ، وهادية أبصار البشر الى الحقيقة الأزلية التي هي الينبوع السخي المتدفق بالسعادتين الدنيوية ، والأخرويـة •

---

(١) كتاب (فكر وفن اقبال) تأليف السيد عبد الواحد «باللغة الانكليزية» صفحة ٣ سـطر ١٢ •

وقد ذكر أن تاريخ ميـلاد اقبـال هو يوم ١٨٧٧/١١/٩ وهـذا هو اليـوم الذي نحتفل به •

ولكن ما هو الجوهر الذي أنجب هـذه المنارة العجيبة التي تتحاشـاها الرياح ، وتغتسل في بريقها ملايين العيون من أداني الأرض وأقاصـيها ؟ اننـا لا نحتـاج لكي نُرضي فضول هذا السـؤال الى كثير عنـاء فما بوسعنا الا أن نقول ببسـاطة انها الروح الطاهـرة السـامية ملأت الزمن ومازالت تملؤه بأسمى ما يطمح اليـه من آيات الفكر والقلب والعمل المتواصل المثمر .. انها روح اقبال متحدة بعقله وقلبه متبلورة عن عبقريات مدهشة ومواهب فريدة قـلّ أن يجـود بهـا الدهر .. تلك العبقريات والمواهب التي أغنت عصرنا بثمارها الناضجة التي لن تنسى الأرواح مذاقها ، ولا تفارق النفوس رائحتها الذكية العطرة ، ولا يهاجر شـعاعها الثـاقب العيون الى سـواها أبـد الدهر .

فكيف نمت تلك المواهب ، وازدهرت ، واسـتوت على سـوقها وآتت أكلهـا ؟ لقـد كان الحجر الأول في البنـاء الشامخ لقدرات اقبال الأدبيـة والشعرية ، وتطلعاته الفكرية والفلسفية ، دراسـته للقرآن على مرحلتـين الأولى : على أبيـه حينما كان طفلا صغيرا جدا لا تسـمح له سِـنُّـه بالتعلم خارج المنزل . وقد اسـتطاع ان يحفظ خلال تلك المرحلة معظم سور وآيات القرآن الكريم . الثانية في أحد مكاتب تعليمه وذلك بعد أن تقدم في العمر قليلا وأصبح قادرا على مزاولة الدرس خارج المنزل . وقد كوَّن تعلُّم اقبال للقرآن وحفظه سـوره ، في نفسه قاعدة ثقافية علمية ثابتة الدعائم مما يسَّـر له في مستقبل أيامه من سرعة استيعابه للمواد العلمية والثقافيـة ، وأكسبه منطقاً سليما قويما وحجة قوية ، وتعبيرا ناضجا في قصائده وكتاباته .

ولم يكد الطفل النابغة يُنهي دراسته للقرآن ويبـلغ سـناً تؤهله الى ممارسة الحيـاة التي كان يمارسـها أترابه حتى أُدخـل مدرسـة البعثـة الاسكتلندية في سيالكوت حيث شـاءت الصـدفة الحسنة أن يكون أستاذه فيها

« مير حسن » الملقب بشمس العلماء صديق أبيه ومن المتضلعين في الآداب الفارسية والعربية زيادة طول باعه في علوم وأحكام الشريعة الاسلامية . وكان من حسن حظ اقبال وحسن حظ الشعر والفكر أن يقوم مثل هذا الاستاذ على تعليمه ورعايته وكان أول المشجعين له على متابعة تجاربه الشعرية ومواصلة تنمية مواهبه في مضاميرها ذلك لما توسم فيه من النبوغ الخارق التي كانت تبدو طلائعه في أعماله الشعرية الأولى التي كان اقبال يطلعه عليها ، ويستشيره في مستواها . والمثل يقول « اذا طلع الهلال آمنا بالبدر » .

وقد أنهى اقبال دراسته في الكلية الاسكتلندية عام ١٨٩٥ وانتقل على أثرها الى لاهور عاصمة ولاية البنجاب ليلتحق بكلية الحكومة ، وقد حاز منها على درجتين علميتين . وقد كان استاذه هذه المرة المستشرق الكبير سيرتوماس آرنولد الأمر الذي رسَّخ في ذهنه المادة العلمية بشكل فريد، ووسَّع آفاق تفكيره ، وأوقفه على قاعدة علمية صلبة لينطلق منها بخطى واثقة الى العالم الرحيب ويحقق ما ادَّخرته الطبيعة له من السمو الادبي والفكري .

وبعد تخرُّجه من هذه الكلية أختير لتدريس مادة التاريخ والفلسفة في الكلية الشرقية بلاهور ثم نُصِّب لتدريس الفلسفة واللغة الانجليزية بكلية الحكومة التي تخرج منها . ولكن طموح اقبال وتطلعه الى اثراء ثقافته واغناء معارفه ، ومضاعفة معلوماته ، وتوسيع آفاقه ، كان يطلب منه أن يواصل مسيرته الدراسية من شؤون الأدب والثقافة وما يستجد منها لذا فقد هجر الوظيفة وعزم على السفر الى أوربا لاكمال دراسته وقد تم له ذلك في عام ١٩٠٥ .

ولم يطُلْ به الزمن الذي أمضاه في بلاد الغرب منْكَبّاً على الدراسة ليل نهار حينا وعاقدا ندوات المناقشة الفكرية والأدبية مع مفكري الغرب حينا آخر . كما كان زيادة على ذلك زائرا دائميا لمكتبات كمبردج ـ ولندن ـ وبريشن . أما حصيلته التي ظفر بها من هذه الرحلة فقد كانت غنية في ثمارها اذ نال خلالها شهادة الدكتوراه في الفلسفة من ميونخ حيث قد تضلَّع في العلوم الفلسفية تضلُّعاً جعله أن يكون في مقدمة المختصين بها في العالم آنذاك فقد أضاف الى سعة معرفته السابقة بها ما استطاع تحصيله من مطالعاته العامة ومما درسه في جامعة كمبردج على البروفسور ماك تاكارز . وقد كان موضوع وعنوان الرسالة التي تقدم بها الى الجامعة في ميونخ ونال الدكتوراه عليها هو (تطور الميتافيزيقا في بلاد فارس) . كما حصل على درجة في القانون عام ١٩٠٨ وهو العام الذي عاد به الى وطنه . ولم يقتصر نشاط اقبال العلمي والثقافي في أوربا على ذلك فقط بل كان أكثر اتساعاً حيث استطاع أن يجعل من نفسه داعية للثقافة الشرقية والفكر الاسلامي وتعاليمه بين الأوربيين . وخلال اقامته في انكلترا قبل عرضاً من جامعة لندن لتعيينه أستاذاً للغة العربية فيها ولكنه لم يستطع مواصلة ذلك فاستقال منها بعد ستة أشهر .

ان سفرة اقبال برغم عمرها القصير الذي لم يتجاوز الثلاثة أعوام كانت غنية بنتائجها الفكرية اضافة الى مردوداتها العلمية فأعظم أثر جوهري فعَّال تركته في نفسه هو اطلاعه على الحياة الغربية عن قرب واستجلاء معالمها ، والوقوف على محاسنها ومساوئها وعقد مقارنة أوضاع بلاده المتأخرة بأوضاعها المتقدمة المتحضرة وتعرُّفه على السبب الذي أوقف وطنه في موقعه المتأخر الغارق في ظلام الجهل والفقر والمرض الدامس ، ومعاهدته نفسه على بذل أقصى المساعي والجهود لمعالجة سوء أوضاعه الاقتصادية والصحية والاجتماعية،

وانقاذ تفكيره من الضلال الذي غمرته به الخرافات والاساطير والعقائد الساذجة التي ما أنزل الله بها من سلطان • ان هذا الوعي الهائل الذي غزا رأس اقبال وسيطر على روحه ونفسه وقلبه لم يولد فجأة في عالم اقبال بل كانت له جذوره الممتدة في أعماقه • فلم يكن من البلادة والغفلة بحيث تخفى عليه حالة مجتمعه وتخبُّطه في متاهات التأخر وظلمات الآفات الاجتماعية غير أن مقدار احساسه بها وتجنيد نفسه لمعالجتها لم يبلغ المستوى الذي بلغه بعد سفره الى أوربا حيث أن رؤيته الرقي الحضاري والثقافي والاجتماعي بأعلى درجاته جسَّد له المأساة التي تعيشها بلاده تجسيداً كاد أن يفقده رشده حتى بلغ به الأمر الى عقد عزمه على هجران كتابة الشعر والانصراف كلياً الى محاربة الأوضاع السيئة واستبدالها بما يلائم الحياة والعصر الذي تعيش فيه ولم يرجع عن عزمه على هجران الشعر والعودة الى ميدانه الا بعد محاولات كثيرة معه قام بها أصدقاؤه ومحبوا الشعر وفي مقدمتهم (سير توماس آرنولد) • ولو بقي اقبال على عزمه على ترك الشعر لفقد الشعر بصورة عامة والشعر في الهند خاصة كنوزاً شعرية لا مثيل لها أهداها اقبال للعالم بعد عودته الى رحاب الشعر • وقد رسم حماس اقبال الملتهب للاصلاح الاجتماعي خطة حكيمة أخذ يسير على ضوئها ويهتدي بهداها لتحقيق التغيير الاجتماعي والصعود بوطنه ومجتمعه الى حيث ينتظره الطموح البشري المشروع لاسيما وأنه حائز على كل شروط ومقومات التطور والتقدم بما يمتلكه من رصيد حضاري وفكري وما تجود به أرضه له من ثروات وخيرات لها كل الامكانات على تمهيد طريق جميع أنواع التطور أمام مسيرته •

وهكذا بدأ اقبال مرحلة جديدة من الجهاد الواعي الموزون بخطف البرق • وكان النضال الذي بدأ يخوضه منذ عودته وان كان حلقات

جـديدة مكمّلة لحلقـات نضـاله السـابق الا أنه في هـذه المرة كان أكثر نضوجاً وتفوقاً بدقتـه وتنظيمه وسعة آفاقه وحتمية نتائجه الايجابية .

ولم يقصر اقبـال نضاله المذكور على جانب واحد من الجوانب المتعددة التي يمتلكها في ميدان النشـاط الانسـاني بل هب بها جميعا في آن واحد وجندها في سـبيل تحقيق طموحه الوطني والانسـاني فاستخدم الشعر والنثر والفلسـفة والنقد أدوات فعالة في خلق الثورة ضد المفاهيم العتيقة الباليـة التي كانت العـامل المهم في ما وصـل اليـه بلده من الانحـدار في هـاوية التأخر ، وما بلغته أمتـه الاسلامية من نكوص ، فشـن حملة شـعواء على الاستعمار الغربي الغاشم الذي كان السبب المباشر في رزوخ الشرق بسلاسل شقائه ، وسقوطه في هوة الجهل والفاقه والمرض ، والحرمان فقد كان ذلك الأجنبي الغاصب ينهب خيراته ليصنع منـها سعادته وتقدم بلاده وتسلقها سلالم الحضارة بخطى واسعة ، وبناءه صروح المجد الكاذبة الشـامخة على أنقاض الهياكل البشرية المعذبة .

وقد كان الدين الاسلامي الحنيف ، ودستوره القرآن المجيد وتعاليم نبيا الكريم محمد (ص) المنبع السخي الذي كان يستلهمه اقبال في أصول فلسفته الكونيـة مازجاً بهـا ما يتفق معها من المفـاهيم الفكرية القديمة والحديثـة بعد اقتطاعها من أصولها وتشذيبها من زوائدها وقد اسـتطاع بقـدرة فائقة أن يعقد قراناً بين الدين والفلسـفة وأن يذيب أحدهما بالآخر في بوتقـة تفكيره الفلسفي والاجتماعي الذي ابتكره من تجاربه الحياتية والعلميـة . وبالرغم مما واجه عالمه الفلسفي الجديد من العقبات لم ينكص ، ولم يتزعزع ايمانه بموقفه ولا تزحزح عن موضعه الذي عقد العزم على الثبـات به الى النهاية . وهكذا سـار اقبـال نحو أهدافه السامية ومن أجل تحقيقها بكل

بسالة وعزيمته واستطاع أن يقتطف من صموده نتائج ايجابية رالصقة على صعيد الواقع العملي • يقول الدكتور عبد الوهاب عزام في كتابه (محمد اقبال) ما نصه : (عاش (أي اقبال) في فترة تدهور من التاريخ الاسلامي نقيضاً لفترة ازدهاره وبنائه الامبراطورية فدفعه حزنه على ذلك الى الاهتمام بمستقبل مسلمي العالم ودعا الى انشاء الرابطة الاسلامية بين الشعوب الاسلامية وهو أول من نادى بتكوين دولة اسلامية في الهند وحققت بعد ذلك على يد جناح الذي عمل من أجلها مع حزب الرابطة عام ١٩٤٠ • وحاول اقبال تلقيح الاسلام بما يلائمه من الأفكار الجديدة وما جادت به الحضارة الحديثة من أفكار علمية وفلسفية وقام بمهمة تجديد التفكير الديني في الاسلام لوضع حد لبسط نفوذ الثقافة الغربية بما عرضه عرضاً منطقياً يوضح روحه الحقيقية) •

ان المهمات الفكرية التي شغلت اقبال طوال حياته وعقدت بين أجفانه الارق مواثيق لا يمكن نقضها تتلخص في تجديد التفكير الديني في الاسلام من ناحية ، والقضاء على السلبيات التي أذبلت الروح الوثابة لدى الانسان بما اهتدى اليه في بحثه المتواصل في عوالم الفلسفة من فكرتي « الذاتية » و « الانسان الكامل » •

فأما من ناحية فكرته في اعادة بناء الفكر الأسلامي فهي نابعة من تعلقه المتناهي بالدين الاسلامي ومحاولته الدائبة على استعادة مجده الذي شحب لون ضوء شمسه بتأثير ابتعاده عن محتواه الاساسي الرفيع بسبب بعده الزمني عن عهد انبثاقه من جهة ولتوالي الاحداث العكسية السيئة على مسيرته الطويلة من جهة أخرى مما أخفى كثيراً من جوانبه المشرقة وأدخل عليه أموراً ليست لها أية علاقة مما غيَّر من معالمه السامية • ونظراً لان

اقبال كان مندفعاً بقوة لا تعرف الحدود في طريق هـذا الدين العظيم فقـد كان يتجاوب مع كل ما يجد له صلة قريبـة أو بعيدة به ، ولان الصـوفية طريقة دينية نبعت من الاسلام وتعمقت في تفسير اشـاراته وتعاليمه ، وغالت في عناصر التوحيد مغالاة أخرجتها في بعض المواضع عن جـوهره الحقيقي كافنـاء ذات الانسـان في ذات الله فقـد وقف منها اقبال موقفين .

في البـداية اندفع اقبال في تيـارها ووقع تحت طائل سـلطانها بتـأثير سحر عالمها الروحاني الذي يزيده جاذبية تعبيرها عن مفاهيمها وطقوسـها وشـعائرها بأجمل الأساليب الشعرية والنثرية وأدقها ، وأكثرها تأثيراً في النفس ولكنه ما لبث أن وقف منها موقفاً مضاداً ناعيـاً عليـها سلب ارادة الانسـان ، وتحبيب الخضوع له ، في حواسه وأحاسيسه مما يتنـافى وروح الدين الاسلامي التي تدعو الانسـان الى أن يكون عزيز النفس كريمها ، قوي الارادة منيعها ، لا يذعن لسطوة بشـرية مهما دعا الأمر الى ذلك ، ولا يخضع الا لخالقه . هذا هو السبب الاول الذي غيَّـر وجهة نظر اقبال بالصوفية ، وأما السبب الآخر فهو يتعلق بدعوة المتصـوفة الى اذابة نفس الانسـان وافنـائه بالذات الالهية . ان معنى ما ذهب اليـه أصحاب التصوف في هـذا البنـد ـ سـواء أرادوا او لم يريدوا ، بقصـد أو بدون قصـد ـ هـو اذلال النفس واحتقـارها والا لمـاذا يحـاولون افنـاء شيء أراد الله سبحانه وتعالى أن يبقي على حاله كما خلقه ولو ان من رأي الخالق اذابة نفس الانسـان وافناءها لكان هو أقدر على ذلك ، ولهذا نرى اقبـال يسخر في كتابه الشـعري (أسرار خودي) بأفلاطون وبحافظ الشـيرازي الذي يعتبره المتصوفة أحد أئمتهم فهو يعتبرهم غنماً مما أثار عليـه ثائرة الصوفية واشـعالهم حرباً عليـه . وحـول هـذا المضمون الأخير ينقل لنا الدكتور عبد الوهاب عزام في كتابه محمد اقبال (ص ٦٦) ما كتبه مولانا أسلم جيرا

جبوري سنة ١٩١٩ : (مازال بعض الناس يعترضون على اقبال منذ نشر كتابه (أسرار خودي) أو (أسرار النفس) اذ جعل افلاطون اليوناني وحافظاً الشيرازي في فصيلة الغنم •

وليس حافظ الشيرازي عندهم شاعراً فحسب بل هو ولي مقدس ولو لم يكتب اقبال ما كتب لكان خيراً له لأنه عرّض نفسه لطعن الطاعنين ، ولأن المسألة الأصلية التي تنفع الأمة حجبت في غبار هذا الجدال كما فعل بيرزاده مظفر أحمد اذ نظم « ازبيخودي » ليردّ على اقبال ما قال عن افلاطون وحافظ وأغفل الموضوع الأصلي » •

ان شدة حماس اقبال ضد دعوة المتصوفة في افناء النفس هو الذي جعله ينقم على أفلاطون وحافظ وسواهما لأن وجهة النظر المذكورة تعني فيما تعنيه الفناء تاماً لأعظم ، ما يملكه الكائن الانساني في حياته المادية والروحية وهو النفس الانسانية تلك الجوهرة التي يؤكد الاسلام على احترامها احتراماً يليق بها ، ويدعو المسلمين الى تربيتها تربية تمكنها من أداء ما عليها من واجبات تجاه خالقها ، وتجاه الجنس البشري ، وتجاه العالم الذي وجدت فيه • (وان هدف الانسان الديني والاخلاقي (كما يقول عزام في كتابه محمد اقبال «ص ٥٩» ملخصاً رأي اقبال في النفس) اثبات ذاته لا نفيها ، وعلى قدر تحقيق انفراده أو وحدته يقرب من هذا هو الهدف على قدر بعده من الخالق تنقص فرديته ، والانسان الكامل هو الأقرب الى الله فالانسان انما يقوم بذاتيته أي بما يبلغه من الكمال العقلي والخلقي وهو لا يستوفي حظه من هذا الكمال الا اذا عرف نفسه حق المعرفة وأخذها بالتنمية والتقوية ، ووثق بها ، وتعشّق الشرف والمعالي ، وخلق لنفسه المثل الجليلة والمقاصد النبيلة لا يبلغ مقصداً الا ابتغى بعده مقصداً

أرقى ولا يحقق مطلباً الا تطلّع الى مطلب غيره أسمى ، ويقول أيضاً في الصفحة نفسها (الانسان خليفة الله في أرضه فعليه أن يتخلق بخلقه ، وعلى قدر ذلك يقترب من الله) •

من هذا نفهم أن الذات الانسانية تشكّل المحور الرئيس الذي يدور حوله تفكير اقبال وأهم الأشياء التي تركت في نفسه أثراً عميقاً وجعلته يؤمن بذاته ايماناً مطلقاً لا حدود له هو أنه رأى جميع الموجودات الكونية من كائنات حيّة وغير حيّة تعيش فردّيتها بصورة نهائية فلا يندمج بعضها ببعض على الرغم من نسبة التفرُّد التي يعيشها كل منها ومن هنا نشأت لديه الذاتية أو الفردية بشكل حركة تميشها جميع الأحياء التي تنتظم في مدار الحياة الصاعدة حتى تبلغ الانسان وعندما تتحول الى الشخصية وتحقيقها فبامكان الذات الطامحه بتحقُّقها أن تقهر الواقع المحيط بها والبعد من ناحية ، والزمن من ناحية أخرى وذلك للاقتراب من الذات الكبرى أي ذات الحقيقة الكلية وهي ذات الله بصفاته الحسنى ، وعند بلوغها هذا المستوى من التحقق والاقتراب تتحول الى درجة بالغة السمو هي درجة الانسان الكامل •

أما الطريق الذي يسلكه اقبال في مجال تفكيره المذكور ـ كما يتضح لنا من كتاباته وقصائده ـ فهو ذو ثلاثة اتجاهات مستندة الى ايمان قوي بتطور الانسان ، وهذه الاتجاهات الثلاثة هي الحصول على الحرية الشخصية وبلوغ الخلود الشخصي ، وتحقيق الانسان الكامل ، ولما كانت الذات الانسانية لا تتمكن من انجاز التطور الا بالاتصال بالذوات الانسانية الأخرى لا بالعزلة عنها فقد رسم اقبال لها منهجاً يحدد لها الضرورات التي يؤكد ويلحُّ على توفرها في المجتمع ليحقق التطور لهذه الذات •

ان اقبال في دعوته لفلسفة الذات يصدر عن مفهوم انساني رفيع فهو يريد من الانسان أن يقضي على ضعفه الذي ينتابه بالايمان العميق بنفسه الذي يقوده بالضرورة الى تحقيق فرديته اذ ان بتحققها يمتلك قوة يستطيع بواسطتها أن يخضع كل القوى التي تقف بوجهه وتحول دون مطامحه السامية كما أنه ينظر الى المجتمع الذي يحقق كل فرد فيه ذاته فيبدو مجتمعاً بالغاً درجة عالية من الكمال حيث انه يتكون في هذه الحالة من أفراد بلغ كل منهم درجة الانسان الكامل فاذا استطاع أبناء الامة الاسلامية بلوغ تلك الدرجة استطاعت أمتهم أن تذلل جميع الصعاب والعقبات وتجتازها الى ذروة التطور والمجد .. ان اقبال حين يدعو الانسان الى تحقيق ذاتيته فانه يستلهم في ذلك جوهر الاسلام العميق حيث يقود الانسان الى التمثُّل بخالقه الفرد الذي لولا تفرُّد ذاته الكبرى لما استطاع أن يخلق هذا الكون العظيم ، فاذا نجح الانسان بالتمثل بخالقه وسعى حثيثاً الى تحقيق فرديته وعاد ظافراً بما سعى اليه استطاع أن يكون انساناً خالقاً واذا تحقق له ذلك نال درجة الانسان الكامل ، واذا نال درجة الانسان الكامل أصبح نائب الله في الأرض . ان الانسان حين يبلغ هذه المرتبة يكون قد رفض التقليد ، وآمن بالتجديد الذي هو طبع الحياة الملازم لها ومما ورد بهذا الشأن في كتاب (اقبال الفيلسوف والمصلح «ص ٨٤») ما نصه (ولقد وصف اقبال التقليدية في قصائده المبكرة على أنها قتل للنفوس وقد عاد الى هذا الموضوع مراراً وتكراراً في أيامه الأخيرة . ومما يقول بصدد ذلك في نص ص١٥٥.

الى أي مدى سوف تبقى تتضرع مثل موسى على جبل سيناء ؟ فأجلب بسرعة نيران سيناء من ترابك الخاص . وثمة مقطوعة من أربعة أبيات في (بيام مشرق) (رسالة الشرق) نص ص ١٥٥ يقول فيها :

لو كنت عليماً بقيمته ووقتـه فاخلق محيطاً من نداك . يا قلبي كم من الزمن سوف تبقى تتسـوّل الضوء من القمر فلتضيء ليلك بأنفاسك أنت .

وقد كتب اقبـال قصيدتين طويلتين باللغة الفارسية في موضوع النفس طبعهما في كتابين مسـتقلين الاولى (أسرار خودي ورموز بيخودي) أي (أسرار النفس وغوامض حب النفس) وقد نشر الاولى عـام ١٩١٥ ، والثانية عـام ١٩١٨ . ويشرح اقبـال في الأولى مضمون فلسفته التي استطاع أن يتوصل اليها والتي تكوّن النفس مرتكزها الرئيس ومنطلقها الأساس بينما يدعو في الثانيـة الى اصلاح الفرد واعـادة جميع المسلمين الى الشريعة الاسلامية الحقة . ويحدثنـا لوس ليكود مايز في كتابه مقدمة الى فكر اقبال ص ٤٢ عن بعض مقاطعها فيقول : (وفي أسرار الخودي « سيمفونية النجوم » يصف الشاعر النجوم كمغامرة تهيم بالمغامرات وتعشقها عشقاً لا حدود لـه ولهذا فهي في بحث دائم عن عوالم جديدة :

الانسـان ، على العكس ـ غير واع بمصـيره العظيم ، منـهمك في مشـاغله اليومية .

نظامنـا هو حياتنـا .

مسـيرتنا الثابتـة هي قاموسنا .

تكمن الحيـاة الازلية في تجوالنا اللانهائي .

السموات تتطور حسـب رغبتنـا .

نحن نراقب ونتحرك .

كثيرك نعتبره قليـلا .

سـنتك لحظة بالنسبة لنا .

يا من تحمل محيطاً في صـدرك .

مع أنك مخلوق من قطرة الندى •

نحن نتحرك بحثاً عن عوالم أخرى •

نحن نراقب ونتحرك •

وقد جرى اقبال في كتابته لهذه القصيدة مجرى جلال الدين الرومي الشاعر الصوفي في كتابه الفريد المثنوي العظيم وذلك في أسلوبها الشعري كما أنه استلهم كثيراً من أفكاره في الذات الانسانية منه ، وبالرغم من موقف اقبال المضاد للصوفية فهو يستثني منهم جلال الدين الرومي الذي كان يعتبر نفسه تلميذاً له • كما كان متخذاً منه له قدوة يقتدى بها في شعره وفكره الاسلامي ، والحق أنه أفاد منه كثيراً وكان له نعم الاستاذ •

ان هذا الذي ذكرناه عن فلسفة اقبال ما هو الا اشارة بسيطة الى عالم واسع زاخر بالأفكار العميقة اذ لا يمكننا أن نتحدث عنها أكثر مما تحدثنا في مثل هذا المجال الضيق •

أما شاعريته فهي أشهر من أن تعرَّف وأعظم من ان (تقوَّم) فهو شاعر بالفطرة والتجربة والمعرفة والثقافة له ملكة ندر وجود مثيلها على مدى العصور التي مرَّت بالبشرية •

لقد حفظ اقبال القرآن الكريم وفهمه فهماً دقيقاً وغاص الى أغواره فوقف على أسراره ومعانيه العظيمة ثم قرأ الشعر الفارسي والهندي والعربي وهضمها هضماً جيداً وأتبعها بقراءته للشعر الاوربي ولكن بعد ان امتد عمره في الزمن • وعلى أية حال فأن الثقافة الشعرية التي استطاع توفيرها لنفسه مكَّنته من أن يمتلك ناصية البيان ويطوع جموع المعاني وأن ينطلق في عالم الشعر انطلاقاً لا مثيل له لا في الهند فحسب بل في الشرق والامة

الأسلامية جمعاء في أواخر القرن الماضي وأوائل القرن الحالي .

وقد بوّأته قراءاته الكثيرة في كتب الادب المختلفة مكانة من اللغة لا يرقى اليها الصقر ، ومنحته من الأساليب ما تعجز عنه البلاغة نفسها وألهمته من الأخيلة والصور الشعرية ما تحسده عليه الطبيعة وجمالها الأخاذ .

والشيء الاكثر ادهاشاً أن اقبال استطاع أن يمزج الشعر بالفلسفة دون أن يُخلّ بمفهوم الشعر وقوانينه بل زاده جمالا على جمال كما هيّأ الفرصة للفلسفة أن تظهر للناس بِحُلَّة خلابة من نسيج فريد جعلت العقول تتلهّف الى استيحائها ، والنفوس تتعطش الى تشرُّبها ، والقلوب تخفق الى التمتع بجلالها وعمقها .

لقد بدأ اقبال بكتابة الشعر وهو في مراحل دراسته الأولى وقد شجّعه أستاذه (مير حسن) الرجل الضليع في الآداب الفارسية والهندية والعربية على مواصلة الكتابة الشعرية كما شجعه الشاعر الهندي الكبير (داغ) تشجيعاً كان له أثره على تطُوره الشعري وذلك حينما أرسل اليه بعض قصائده يستشيره في صلاحها أو عدمه ويطلب منه تصحيحها اذا تطلّب ذلك ولكن داغ لم يصحح له الا أشياء بسيطة وأرسل اليه قصائده مرفقة برسالة يقول له فيها (كما يذكر السيد عبد الواحد - في كتابه فن وفكر اقبال) انه ليس بحاجة الى أن يصحح له أحد قصائده اذ قد بلغت قدراً كبيراً من النجاح وسلامة النظم .

اننا لو حاولنا أن نستشهد لأقبال بأمثلة شعرية لاحتجنا الى مجلد ضخم يتألف من مئات الصفحات ولذلك فنحن لا نستطيع أن نذكر له الا بعض المقاطع منها ما يذكره لنا لوس لكوس مايز في كتابه (المدخل الى فكر اقبال ص ٤٦ :

ان أشـعة شمس الدنيـا المضيئة هي شرارة من نيرانك المتأججة ففي سلطانك الخلاق تختفي مكونات عالم آخر ٠

وأنت لا تقـوّم النعيم الذي أعطي لك ٠

ان سماءك لا تكمن في أي مكان آخر الا عن نفسك أنت ٠

وفي الهبة الثمينة لدمك وحياتك ٠

أيها الجسـد الترابي أنظر المكافأة التي لا توصف

التي تتـوّج جهودك اللامضنية ٠٠ كافح ٠ وانتظر ٠

ويقول في القصيدة نفسـها :

الزهرة الصغيرة تنـام نوماً عميقاً

انهض يا نرجس واختلس النـظر

وا أسـفاه ! الزهرة تسقط وتموت

ذبلت بفعل أحزان البرد ٠٠

انهـض

فان أغنيـة الطائر تملأ الأسماع الآن

والمؤذنون ينـادون الى الصلاة

اسـتمع للتنهدات اللاهبـة

اخرجوا من نعاسكم العميـق

انهضوا من نومكم العميق ٠٠٠

انهضـــوا

الشمس تزين بأشعتها الآن حواجب الصباح

وتغمر وجنـاته بخجل الحب القرمزي

فوق الجبال .. عبر السهول
تتخذ القوافل مسيرتها ثانية
والعيون البراقة للعالم تحدق بالعالم
وتنهض من نومها العميق
من سباتها العميق
انهضوا .. الشرق بكامله ملقى
كغبار ينتشر على طول الطريق ..

مرحى .. مرحى يا اقبال .. أي ساحر كمن تحت لسانك فجعلك تطلق هذه الأغاني التي ترقص الحجر .. ان الدواوين التسعة التي أهداها اقبال للبشرية سوف تبقى غذاءها الروحي الأبدي .. وأروع ما كتب اقبال من شعر هو في كتاب (الجافيدناما) يقول لوس لكود في المصدر نفسه الذي ذكرناه « ص ٣٨ » متحدثاً عنها « ان أجمل قطعة لاقبال هي الجافيدناما (كتاب الازلية) وقد أصبحت هذه القصيدة كلاسيكية وفيما يلي تحليل مختصر لها :

يزور اقبال مصطحباً رومي الذي هو بالنسبة له كمثل فيرجيل لدانتي كواكب مختلفة حيث يقابل شخصيات بارزة من شخصيات التاريخ والذين من خلال حوارهم ، ألقوا أضواء على الحقائق الأزلية ولقد قيل بحق عن هذه القصيدة بأنها « كوميديا الشرق المقدسة » :

كيف المثول بين يدي الله ؟ • كيف تحطم جبال الحياة واليابسة ؟ فالذي يأمرها فيما وراء الخلق ونحن مقيدون تقريباً بيد المصير الجديدية• السؤال عن الانسان واعياً ومدركاً لحدوده أمام اللامحدود تبدأ القصيدة:

كيف نستطيع التغلب على كثافة المادة ونسمو بحالتنا الانسانية ، ونجتاز بوابة المملكة السماوية ؟

هذا القلق الذي يساوره منذ بدأ الرحلة ، حجاب من الحزن يذكرنا بداتي الذي ضل طريقه في غابته المظلمة ..) .

ويطول بنا الأمر لو حاولنا الاستمرار .. فعالم اقبال ساحر ينسي الانسان نفسه ونخشى الا نستفيق وقد أتينا على القصيدة بتمامها ...

ولكننا نعد بأن يقرأ المستمعون بعد وقت ليس طويلا الكتاب الذي قمنا بتأليفه عن اقبال .

لقد طبّقت شهرة اقبال آفاق القرن العشرين ، واستأثرت باعجاب أعظم العقول ، ونالت آيات الحمد والثناء منها على جميع المضامير التي طرقتها في مجالات النشاط البشري . ومما قاله بعض أولئك المفكرين قول مولانا أسلم الجراجيوري في احتفال باقبال أقيم في الجامعة الاسلامية ما نصُّه :

« قرأت الشعر بالعربية والفارسية والأوردية ، ولا حرج عليَّ أن أقول أن اقبالا أعظم شعراء المسلمين وان كلامه ليفيض بالحقائق الاسلامية ولقد هدى ناشئتنا سواء السبيل وان اقبالا حذق علوم العرب ثم أبلغ المسلمين الرسالة التي بصّرتهم بحقيقة الاسلام وعظمته ، وملأت قلوب الشباب الغافل النائم بحب الرسول والقرآن ؟ وأما عميد الأدب العربي وفقيده الدكتور طه حسين فيقارنه بأبي العلاء المعري ويطري خصائصه الشعرية والفكرية بما تمليه عليه عظمته وذلك في محاضرة له منشورة في كتاب « اقبال » لصفوة من كبار الكتاب » يقول فيها :

« شاعران اسلاميان رفعا مجد الآداب الاسلامية الى الذروة أحدهما شاعر الهند والباكستان اقبال وثانيهما أبو العلاء المعري شاعر العرب .

شاعران يتقاربان كأشد ما يكون التقارب ويتباعدان كأعظم ما يكون التباعد كلاهما شاعران وكلاهما فيلسوف ، وكلاهما أخضع الفلسفة للشعر وكلاهما بعد ذلك خرج على التصوف التقليدي واتخذ لنفسه سبيلا خاصاً في التصوف لا يشاركه فيه أحد غيره وكلاهما أثبت شخصيته وكأقوى ما يكون عليه اثبات الشخصية ، ودعا الانسان الى أن يعرف ذاته حق معرفتها والى أن يفرض نفسه على الدنيا ويفرضها على الزمان ولا يفنيها في أحد غيره مهما يكن .. الخ » كما قال ابهار خراساني الملقب بملك الشعر : سلّمت هذه البلاد مقاليدها الى اقبال بكل رحابة صدر وأعلنت نفسها أمام العالم كله مملكة خاصة له وحده وليس ذلك عليه بالكثير وهو الذي استطاع أن يحرز قصب السبق على مائة الف من نوابغ جيله ، ان جيشاً من الشعراء الفحول أعلن هزيمته أمام انتصاره » . مترجمه من كتاب فكر وفن اقبال (السيد عبدالواحد) قبل المقدمة عن الانكليزية .

لقد عاش محمد اقبال حياة مليئة لا تكاد تعثر فيها على فراغ منذ مولده حتى مغادرته هذا العالم .. وهو زيادة على ما قدم في مجال الشعر والفلسفة والأدب والنقد عمل بالسياسة فرأس جمعية حماية الاسلام وهو مازال يافعاً وانتخب عضواً في الجمعية التشريعية في البنجاب عام ١٩٢٦ . وكان عماداً قوياً من أعمدة حزب الرابطة الاسلامية حيث رأس اجتماعاته التي انعقد الاول منها عام ١٩٣٠ والثاني ١٩٣١ والثالث ١٩٣٣ والقى فيها الخطب الرائعة وقد دعا في الخطبة الأولى التي ألقاها في المؤتمر الأول عام ١٩٣٠ الى تكوين دولة تضم المسلمين الهنود كما حضر ثلاثة مؤتمرات

للطاولة المستديرة في ١٩٣١ - ١٩٣٢ - ١٩٣٣ على التوالي وأسهم بتعديل الدستور الهندي الذي تم في اجتماعات تلك المؤتمرات ..

ان هذه الحياة المرهقة المليئة بالخلق والابداع والعمل المتواصل ذهبت بجديته ونشاطه فوافته المنية يوم الحادي والعشرين من أبريل عام ١٩٣٨ فكان ذلك اليوم يوماً ليس أشد منه حزناً على شعبه الذي أفنى نفسه في سبيله وذاق كل مرارة ليقدم له العسل .

وقد كتب محمد علي جناح الى ابنه بخصوص اقبال يقول « كان لي صديقاً ومرشداً وفيلسوفاً وكان في أحلك الساعات التي مرت بالرابطة الاسلامية راسخاً كالصخرة لم يزلزل لحظة واحدة قط » .

كما قال عنه بعد نشره أسرار الخودي ورموز البيخودي « ان شعر اقبال يحدو المسلمين في هذا العصر الى النشأة الثانية » .

وقد كان نبأ وفاة اقبال صاعقة وقعت على رأس الشاعر الهندي العظيم « طاغور » فما كان منه الا أن يعبِّر عن ألمه الشديد للعالم بقوله « تركت وفاة اقبال في أدبنا خللا يشبه جرحاً مهلكاً ولن يشفى هذا الجرح الا بعد زمن طويل غير محدد .. ان مكانة الهند في العالم غير مكينة ، فموت شاعر عالمي كاقبال مصيبة لا تحتملها البلاد .

ومما قال طاغور : لا ريب عندي أن ما ناله شعر اقبال من قبول وصيت يرجع الى ما فيه من نور الأدب الخالد وعظمته ويؤسفني أن بعض النقاد وضع أدبي وأدب اقبال في ميزان المنافسة وجهدوا أن يشيعوا أغلاطهم في هذا الشأن ، وهذا عمل لا يليق بالأدب الفسيح الذي يخاطب النوع الانساني كله لأن في ساحة الأدب العالمي يقوم الشعراء وأولوا الفن في صف من الأخوة الانسانية .

ويقيني أني ومحمد إقبال عاملان للصدق والجمال والأدب ونحن نلتقي حيث يقدم القلب الانساني والعقل الى عالم الانسانية أجمل هداياها وأروعها » .

وهذا القول من شاعر عظيم كطاغور يعتبر شهادة تفوق كل شهادة تعلن فيها عظمة اقبال الفريدة بأفصح ما يمكن من أسلوب وأصدق قول.

وقد احتفل بتشييع الشاعر والفيلسوف العظيم الى مثواه الأخير حيث أغلقت المدينة دواوينها ومتاجرها .. وكان مما قاله في هذه المناسبة محمد علي جناح . « كان شاعراً منقطع النظير طبق صيته الآفاق ، وستبقى كلماته حية أبداً وأن مساعيه لامته وبلده لتضعه في صف أكبر كبراء الهند وان وفاته لخسارة كبيرة للهند عامة وللمسلمين خاصة » .

وقال أيضاً في خطاب القاه في الاحتفال بذكرى اقبال في جامعة البنجاب عام ١٩٤٠ : « ان حييت حتى رأيت للمسلمين دولة قائمة في الهند فخُيرت بين الرياسة العليا في هذه الدولة المسلمة وبين كتب اقبال لم أتردد في اختيار الثانية » .

انه لمنتهى التقدير والاجلال من قائد شعب وزعيم بلاد لشاعر وطنه . وان على اقبال العظيم ان يغتبط وهو في خلده بهذا القول المقوّم عظمته أصدق تقويم وأجله .. انه ليستحق هذا التقدير وأكثر منه فلا يمكن معادلة ما قدمه اقبال من كنوز ثمينة أدبية وشعرية وفلسفية بجميع اقوال الحمد والمديح مهما بلغت من درجات السمو ..

ان المرء الذي يعيش عالم اقبال الشعري والفلسفي لا يصدق أن قلباً مثل قلبه يسكت عن الخفقان الى الابد ويفارقه النبض الى غير عودة ..

كلا ان قلب اقبـال لم يسكت عن الخفقان فهو مازال ينبض وينبض ملايين المرات أكثر من السـابق .. انه ينبض اليـوم بملايين القلوب .. قلوب شعبه .. قلوب أمته .. قلوب العالم النبيـل الذي يفـهم معنى الفكر .. ويكرم الشعر ، ويمجد التضحية ..

أحييك يا اقبـال في ذكرى ميلادك المئوية .. واحيي بك شعبك وأمتك وعالمك وأزف لها آيات التهنئة والغبطة على أنها استطاعت ان تنجب عبقرياً عظيماً مثلك خلق مجداً فكرياً وشعريا هما في عالم الروح كالشمس والقمر للوجود .

الحياة عند اقبال الفيلسوف
في تحصين الشخصية

المحاضرة التي اعدها مهدي حمود الفلوجي

للالقاء في ١٧/١١/١٩٧٧ في جامعة كراجي

كلية الآداب ـ قسم اللغة العربية

حضرات الأسـاتذة .. اخواني وأخواتي :

ان من دواعي غبطتي وسروري ان أقف هذا الموقف المشرف لالقي كلمة وجيزة عن الحيـاة عند اقبال الفيلسوف في تحصين الشخصية .

آملا ان تقع في نفوسكم موقع القبول وهي تخرج من حنجرة عربي عراقي من أرض ثورة السابع عشر من تموز ، عراق الثورة وعراق الأمل والوفاء والنضـال من أجل المستقبل الأفضل ، بلاد الرافدين ، بلاد الحضارات القديمة مهبـط العـلم ومهبـط الفن والتـاريخ ، بلاد الوحـدة والحـرية والاشتراكية ، بلاد البنـاء والتشـييد ، بلاد الشموخ بالرفعة الأبدية ولي كل الفخر والاعتزاز بهذا الموقف وأنا واحـد من أبنـاء هذه الأرض وهاكم ما أراده اقبـال في الحياة في تحصين الشخصية .

ان الحيـاة استناداً الى فكر اقبـال هي عملية تمهيدية تمثيلية ، وجوهرها هو الخلق المستمر للرغبات والمثل العليـا ، ان خلق رغبـات جديدة ومثل عليا يجعلها تسعى الى خلق حالة من التوتر الدائم (عزيمة مثابرة) . الشخصية عند هذا المفهوم هي حالة توتر ويمكنها أن تستمر فقط ، ان الاحتفاظ بهذه الحالة . وعـدم الاحتفاظ بحالة التـوتر تنشـأ عنـها حالة من الاسـترخاء (تثبيط العزيمة) . وحيث أن الشخصية او حالة التوتر هي أعظم منجزات الانسـان ،فانه يجب أن يتأكد من أنه لن يلجأ الى حالة الاسترخاء بأي حال من الأحوال ، بل علينا أن نعمد للاحتفاظ بحالة التوتر لتجعلنا خالدين (١)

---

1 - Introducation to the secrets of the self PP. XVI.

وبذلك فـان (الذات) البشـــرية لهـا مهمــة محـدودة على الارض في اتجـاهين رئيســين •

أولا : عليها أن تناضل بيئتها وتنتصر عليها ، ونتيجة هذا الانتصار تحصل على الحرية وتقترب من الله الذي هو أعظم فرد حر •

ثانياً : على الذات ان تحتفظ بحالة دائمة من التوتر وبذلك تحرز الخلود . بالحصول على الحرية والخلود ، تغزو الذات الفضـاء من جهة والزمن من جهة أخرى •

ولكن زيادة على احراز الحرية والخلود فان على الذات أن تســاعد على مسيرة الانســان العلوية بالاتجاه الى مولد نموذج أعلى من الانســان ـ الانســان الفـائق أو الانســان الكامل الذي هـو المثـال الذي تطمح اليـه جميع الحيــاة •

هذا هو الاساس الذي تقوم عليه فلســفة اقبـال عن (الذات) ومن الواضح أن هــذه الأسس لهذه الفلسفة هي ايمــان قوي في منح قيمة حقيقية للانســان في ثلاثة اتجاهات ، الحرية الشخصية ، الخلود الشخصي ، انتــاج بني الانســان الفائقين •

ولكن كيف يمكن الاحتفاظ بهذا التقويم على ثلاثة حدود ؟

ولدى رغبــة الانســان بتحصين شخصيته عليه أن يشــبع جميع ما يميل الى تحصين الشخصية ويجب أن يتجنب جميع ما هو من المحتمل أن يضعفها،

وكما يقول اقبال « ان فكرة الشخصية تعطينا مقياساً ذا قيمة ، فهي تسوي مشكلة الخير والشر .

ان الخير هو الذي سيحتضن الشخصية ، الفن والدين ، أما العوامل التي تضعفها فتنحصر في الشر ، كما أن الواجب يقتضي الحكم على الاخلاق من وجهة نظر الشخصية .

وهكذا فانه سيرى انه من الاهمية العظمى في تقويم الانسان هي دراسة عوامل وقوى تحقق ذات الانسان أو شخصيته . واستناداً الى اقبال فهي كما يأتي : ـ

(١) الحب .

(٢) الفقر ـ الذي يمكن وصفه بطريقة أفضل بالتعبير : هو ازدراء أعلى المكافآت التي يقدمها العالم أو العمل الذي لا ينظر الى مكافأة . هدفه البناء والتجديد والمساواة بلا جشع ولا طمع وغايته الحياة الحرة الكريمة والمجتمع السعيد .

(٣) الشجاعة .

(٤) قوة الاحتمال (الصبر) .

(٥) كسب الحلال ، والذي يمكن ترجمته بطريقة أفضل : « الكسب بطرق قانونية » وشرعية خالية من الغش والرياء .

(٦) المشاركة في النشاطات الخلاقة والأصيلة .

ولزيادة الفائدة وتعميمها في توضيح طبيعة هذه العوامل نذكر الملاحظات التالية : ـ

(١) الحب : ـ ان الحب من مفاهيم اقبال ذو مضمون واسع يتجاوز حدود جلب السرور الفردي النقي عليه وانه الروح المتولد عنها الكون ثانية ،

الروح التي يجب أن تحرر العقيدة الفردية لجميع متاعب الانسان وتقـدم العلاج لجميع رذائل الانســان كما يجلب أشـياء جميلة وأفكار الى هـذا العـالم والتمثيل وامتصاص صفات بارزة وزيـادة على ذلك يعني الحب لديه بالنسبة للفرد في المحبوب لا تستطيع أية كلمات ان تنقل صورة كاملة عن الحب كما فهمه ، مع أنه هو نفسه وصفه مرة تلو الأخرى شعراً ونثراً .

وجميع تلك الاوصاف الموضوعة في بعضها الى جانب بعض توضح فكرة معينة عن هـذه القوى العظيمة التي تفعل فعلها في شوق بني الانســان ولكن الاعتبارات ضيقة المساحة الذي تتبـع محاولاتنا في الغوص الى أعماق ذلك نكتفي بالاشارة اليه استناداً الى ما يقول في رسالة الى البروفسور نيكلسون. هذه الكلمية مستعملة بمعنى واسع وتعني الرغبة للتمثيل والامتصاص أن شكلها الأعلى هو خلقها للقيم والمثـل العليـا والسعي لتحقيقها الحب الذي يجعل الساعي منفرداً ويتضمن فردية الذي يسعى اليـه ، وليس ثمة شيء آخر سيرضي طبيعة الساعي(١) . وقد وصف اقبال الرابطة التي بين الحب و (الذات) في هذه السـطور :

النقطة المضـيئة التي تسـمى بالنفس
هي شرارة الحياة الكامنة أسفل ترابنا
وبقوة الحب تصبح أطول بقـاءً
أطول عمراً ، أكثر اشتعالا ، أكثر توهجاً
يحول جفنة بيدك من التراب الى ذهب
قبـل بدء الانســان الكامل
ومن خير الحب تنبع عدة صفات روحانية

---

1 - Intorducation to secret of the self P. XV III .

ومن بين صفات الحب المميزة هو التكريس الأعمى.

كن محبـــاً ثابتـــاً في حبـك للمحـب

الذي قد يتحرر من شباك حبك ويلجأ الى حب الله •

والشعراء في جميع اللغات والصوفيين في جميع الاقطار ، والميتافيزيقيون في جميع الاديان كلهم أكدوا أهمية الحب في تطور الخلق الانساني ، وقد وصفوا ما فهموه من الحب بلغـة جميـلة ، ولكن لم يؤكد أحد على ذلك مثـل هـذا التأكيد على الحب بصـفته عاملا في تطور الشخصية الانسـانية أو استعمل مصطلح الحب بمثل هذا المعنى الواسع كما فعل اقبـال • أما في الآداب الشرقية فان أقرب الشعر اليه والصق بنفسه هو شعر الشاعر الصوفي العظيم مولانا (جلال الدين الرومي) •

ان القطعة الجميـلة التـالية من (توماس كيبسي) بالرغم من جمالهـا لا تكفي لمـا ذهب اليـه اقبـال من معنى الحب ـ حيث ان مفهوم الحب عند اقبـال هو أعلى وأعظم واكبر واحلى واسمى مدلول في الحياة لايصـال البشرية الى شـاطيء السعادة والاخلاص والتفاني والتضحية ونبذ الأنانيـة والمسـتحيل •

لا يشـعر الحب بأي عبء ، لا يفكر بأي متاعب •

يحاول ما هو فن بكل قواه أن لا يبدي أي عـذر للمستحيل ، لأنه يعتقد بأن كل الاشياء مشروعة لذاته وكل الاشياء ممكنة فهو لذلك قـادر على أن يتحمل كل الاشياء فهو يتمم أشـياء كثيرة ، ويصل بها الى النهاية ، حيث الذي لا يحب يغمى عليه فيسقط أرضا •

(٢) الفقر : ـ من المستحيل العثور على كلمة في اللغات الأجنبية تعبر تعبيراً تاماً عن الفقر ، ولذا فقد انعكس ذلك المستحيل علي القراء الشرقيين لاقبال بالنسبة لفهمهم ما يعنيه اقبـال بمصطلح الفقـر • أما القراء الغربيون فـان ادراكهم لمعنـاه الصحيـح قاصراً أيضـاً لكون الشـعر لم يكتب وفق

الأسلوب الشرقي في التعبير عن الأفكار • أمـا المعنى الحقيقي المقصود الذي يريـده اقبـال من كلمة (الفقـر) فهي ازدراء المكافـآت التي يجـب أن يعرضها هذا العالم أو العـالم الآخر على بني الانسـان والتي يذوبون اشتياقاً الى نيلها ، ويشتهونها بكل ما في كلمة الاشـتهاء من معنى • ان الفقر لدى اقبال كما قلنـا هو مصطلح يدل على المعنى الذي ذكرناه زيادة على دلالته على مواصلة النضـال ، ورفض وازدراء جميع المبـاهج ، وجميع المكاسب والمكافآت ويوجب على الانسـان ان يقتصر في مطامحه على الغايات النبيلة • ان المعنى القاموسي والمعروف بين الناس للفقر هو العوز أو الاحتياج المادى الذي يقف دون الانسـان وتحقيق رفاهه المعاشي ، وعلى ذلك فمعنى كلمة الفقير يدل على الشخص المحتـاج الذي لا يستطيع أن يظفر بقوته اليومي الا بعد بذل مشـقة قاسية ، بل ربما امتنـع عليه الحصول على ذلك فالجأه الى طلب صدقات الآخرين واحسـانهم ولذا فقد اكتسب هـذا اللفظ الذي اصطلح عليه معبراً عن المعاني التي ذكرناها سمة حقيقية ، ولكن ربط أهميـة ذلك بتطور شخصية الانسـان لا يمكنه الاقرار بمحتوى اللفظ المذكور لمـا ينشـأ عنـها من تحطيم للنفس ، ومن هنـا يمكننـا فهم القصـد الذي يعينه اقبـال بـ (الفقـر) ولهذا الاعتبـار فقد اتخذ هذا اللفظ جـديراً لدى اقبـال ، اذ أصبح دالا على الموقف المنفصل انفصالا تـاماً عن جميـع الممتلكات المـادية للانسـان ، وبذلك يصنع اقبال درعاً واقيـاً من الانحرافات المحدقة بالانسـان في هذا العالم واسـتناداً الى ذلك فالفقير هو الذي يعمل من أجل قضية نبيـلة لا تحرك البذل مساعيه من أجلها أية دوافع باسـتثناء حصـاد المتعة التي يمنحها له الفضل من أجل قضية نبيـلة • وقد ضـمن اقبـال التعريف الذي توصل اليـه للفقير في السـطور التالية : ـ

فقـر واحـد يعلم الصياد فن الصيد

فقر واحد يعلم أسرار غزو العـالم
فقر واحد يجلب للأمة الفقر والهم
فقر واحد ينقل للطين صفات الاكسيد

ويعود ثانية ليشير الى المؤثرات الخانقة التي تنتج عن الثروات والممتلكات المـادية ، وتنشر دخانهـا في الافـاق ، فيقول : ـ

أيها الفقر المحترم نفسـه ،
لقـد حان موعد سفرك فحث خطاك بسرعة
ان الجشع الفظيع الى امتلاك أكبر كمية من
الذهب والفضـة ، وحبـهما قـد اسـتنزفا
روح الأمـم الغربيـــة •

وقد وصف تشرشل في مسودته تي•آي• لورنس الفقر وصفاً يفسر لنا ما ذهب اليـه اقبـال في تعريف الفقــر ، ولأجل توضيح اصطلاح اقبـال نذكر قول تشرشل الآتي :

أن أحد أجزاء الشر المحفز لهذا السحر يكمن بصورة طبيعية في ازدراء معظم الجوائز ، ومتع ومبـاهج الحياة •

ينظر العالم بشكل طبيعي ولكن بشعور مشوب ببعض الذهول الى الانسان الاعتيادي الذي يشترك مع الجميع في مفاهيمه عن الوطن والمـال ، الراحة ، المرتبـة وحتى السلطة والشهرة غير أن هـذا العـالم نفسـه لا ينظر تلك النظرة نفسها ودون ادراك معين الى الانسـان الذي يرفض العيش داخل سلطانه القضائي ، الانسـان الذي تمتد أمامه المغريات وتراوده ولكن بدون جـــدوى (١) •

---

1 - Winston Churhil Great Contemporaies P. 165 .

ليس من اليسير تزين هذا الوصف المراد به الفقر أو تحسينه ، فالفكرة الأساسية بطبيعة الفقر هي خلوه من الفائدة المطلقة بالرغم من بذله الجهود من أجل مصلحة العالم دون انتظار مكافأة شخصية في العالم الماثل أو الآخر المجهول ، وقد أورد برناردشو رأيه بكلمات وضعها على لسان

بربارا (لقد تخلصت من رشوة السماء)(١) •

دع مشيئة الله تأخذ مجراها الذي قدره لها ، ان العمل هو الذي خلقنا من أجل أن نقوم به لانجازه لا يمكن أن يتم او ينجز دون قوى الرجال والنساء الأحياء • ومن البديهي أن أولئك الموهوبين بامتلاك الرؤيا الفائقة هم وحدهم القادرون على رفض هذه المكافآت بشكل مطلق ، وبكل شجاعة وهؤلاء الناس هم وحدهم الذين يستطيعون ترك العلاقات المميزة في الشؤون الدنيوية •

ما هو فقر المؤمن ••• ؟ غزو الزمن والقضاء ••• !
انه يمنح العبد صفات السيد •

(٣) الشجاعة : لن يتمكن الانسان مطلقاً من التوصل الى أي شيء ذي أهمية حقيقية في العالم دون أن يمتلك شجاعة جسدية وأخلاقية • فالنجاح المكتمل لا يعني سوى مواجهة العقبات التي لا تفيد في غير اختبار الأفضل من أولئك الرجال الذين يتحلون بمقادير مختلفة من الشجاعة ، ومادام الضعيف على طول الخط يعلن استسلامه دون مقاومة أمام الشجاع فان العقبات التي تملأ المسالك تكون ذات فائدة في هذا المجال حيث تسهم في تطوير الخلق ، وبلورة الفضائل الكاملة ، من الممكن أن يصاب مواجه العقبات بجروح بليغة ، أو يطعن بطعنات قاسية ، ولكنه يكتسب مما يصاب

---

1 - Ma'jor Barbara ACT III .

به مناعة تحصين تصميمه ، وتحقق له الانتصـار على الخوف ، ونتيجة لذلك فليس ثمة وجود لانهيار الاعصاب ، ولا للاذعان لقوى الشر ولا للاستسلام الا للقنـاعة ، وليس لكشـــف القـوى تـأثير على الشـجاع الذي ـ

لا يسـجد الا لأوامر الله •
ليحرق الحب جميـع شـكوكك
التزم الصدق فقط فانه وحده الذي
يســـتطيع أن يحولك أســـد

يؤكد اقبـال مراراً وتكراراً على الجيـل الأصـغر ، حقيقة طريق النضـال في الحيـاة يكمن في العيش المحفوف بالأخطـار ، متحدياً جميـع القوى التي تحاول تعكير صفو متعة الحقوق الشرعية •

رمز الرجال ذوي الشجاعة هو الصدق وعدم الخوف •
أسـود الله لا تعرف مراوغة الثعالب

تنبع الشجاعة من مواجهة الاخطار برجولة جسدية فقط • اذ أن هناك شجاعة أعظم من ذلك وهي عـدم فقدان الانســان مقياس ايمـانه بقيـمة عندما تسود الأمور بسخر الناس من مثل الانسان العليـا ، وما تزال هنـاك شجاعة أعظم مما ذكرنا وهي المطلوبة في مواجهة سـوء التمثيل في أيدي الاصدقاء والاعداء ••• ففي تلك الاوقات من الضيق والعذاب تجهز الشجاعة مرساة الامان للخلق الانساني ، ومحوراً ثابتاً تدور عليه الفضائل الاخرى •

الشجاعة هي الشيء ، البحث عن كل شيء يتلاشى ان تلاشت الشجاعة •

واذا كان الامر كذلك فيحسن بنـا أن نستمع الى ما يقول جونســون كاتبنـا اللامع عن الشجاعة :

ما لم يكن للانســان فضيلة فلن يكون له أمان للاحتفاظ بأشـياء كثيرة أخرى ، اننــا نشكر خالقنــا ثلاث مرات يومياً من أجل الشجاعة بدلا من شكرنا له من أجل الحصول على الخبز الذي هو نتيجة طبيعية للعمل الذي هو أحق شيء نستطيع المطالبة به بكل قوة ، وهذه الشــجاعة هي البرهــان على خلودنا • وهي عظمة كبرى في الحياة عندما يكون المساء ونصلي لله فالرجل الشجاع الذي ينهض من الصلاة رجل أفضل من سواه ، فان صلاته حينئذ تســتجاب تقديراً لشجاعته •

(٤) الصبر والاحتمال : ـ يمثل الصبر من وجهة نظر النــاس الآخرين وأساليبهم قوة لنظام مرتفع ، وغرســة حســنة لأي مجتمع انساني •

ومن الواضح انه لو ان كل عضو من كل مجموعة بشرية يطور شخصيته الى أقصى حد فان عــدم الصبر لن يؤدي الا الى منازعات وصراعات سرمدية ولذا على النفس أن تطور الضمير ، والنفس التي تميل بدورها الى تحصين (الذات) وكما تخلّق اقبــال بمبدأ تعزيز (الذات) باعتباره احتراماً لها في تقي طلب ان يحذو الآخرون حذوه(١) • وهكذا فان الصبر يعزز ويقوي (ذات) الانســان والحقيقة ان الصبر بحد ذاته مولود من القوة ولكنه في عرف بعض النــاس يعتبر ضـعفاً ويؤكد اقبــال بشــدة على تطور الصــبر وقــوة الاحتمــال •

من الخطأ التفوه بكلمة سـيئة
ان الكافر والمؤمن كليهما من خلق الله
الانســانية احترام الانســـــان
ولذا أعرف نفسك بسمو الانســان

---

1 - The Reconstruction of Religions in Islam P. 113 Oxford University.

انســـان الحب يسترشد بالله

وهو شفيق على الكافر والمؤمن على حد ســواء •

ولكن يمكن التعليق على أن الصبر الذي يقصده اقبـال هو في الحقيقة صبر الانســان ذي الايمان المتين الراسخ الذي امتلكه بتحقيق الاحترام المدبن بــه للآخرين الذين تمثـلوه في معاملتهم له •

(٥) كسب العيش : ـ ان هذه العبــارة ذات مدلول شامل تنطوي تحته تطبيقات حياتية عملية واسعة ذات طاقة هائلة على قيـادة الســلوك البشري في جميع ميـادين النشاط الانســاني ، ولو أردنا التعبير عن جملة (كسب العيش) تعبيراً قانونيـاً لقلنـا أنهـا تعني (الاكتساب القانوني) وعلى ذلك فانها في لغــة القضاة واللاهوتيين الارثوذكس تشتمل على جميع المكاسب التي لا يحرز عليــها بوسائل غير مشروعة كالغش والســرقة ، والخداع ، وما يشـابهها • كما تعني في المجال الثقافي الحصول على الاشـياء والافكار بقدرة ذاتية من خلال بذل الانســان جهوده الشخصية ، ونضاله المتواصل ويكون ذلك بمجمله وصفاً لجميع (ذاتيـات) الحياة من حيوية جهود ، وفاعلية الكفاح ، وبوجه عام فانها تفضل جميع أفكار زهد الذات • ان التمتع بأي شكل لم يكتسب بالعمل لا يمكن أن يكون مرضياً (للذات) للمجانية التي صــدر عنها وأكثر من ذلك تطرفاً في عرف الذات لمثيل ذلك هو اعتبار الميراث الذي يبذل لحصول جهد خارج نطاق كسبه العيش ، وبهذا الشأن يقول اقبــال :

اخجل ان كنت تحلم أن ترث ياقوتة من أسلافك

ان ذلك لن يمنحك متعة البحث عن الياقوتة ، وشبيه بذلك فان جميع الافكار المستعارة يجب ان تجنب دينيـاً •

استخرج من ترابك الخاص النـار الخفيـة
لأن ضوء الآخرين ليس جديراً بالامتلاك

(٦) النشـاط الخلاق الأصلي :

لقد رأينـا موقفه من كسب العيش ، واغراقه بسـيول من الاطراء ، والحظر الذي يفرضه على الحيـاة التي تبني نشاط الذات للتوصل الى التطور المناسب ، غير أنه يعود الينـا في هذا الموضع ليوسع لنا مفهومه في النشـاط الذاتي ويبتعد عن منطلقه الاول بقوله : ـ

ان النشاط الذاتي يجب أن يكون خلاقاً وأصيلا ، أما اذا اكتسبت الذات تعزيزها ، واستطاعت امتصاص التنكر البيئي والتقليد الاجتماعي الموروث والمكتسب الذين لا فائدة منهما فيجب حينئذ صرف التشجيع عنهما •

لا تحتقر تطلع الشخصية للسمو باخضاعها للتقليد
كن حارساً ساهراً عليـها فانها جوهرة لا تقدر بثمن

ويركز بشكل عارم على الفعل الخلاق ، مستشهداً بالقرآن الكريم الذي يذكر تعبير (الخلاقين) الى جانب الله والواقع ، ووفقاً لمفاهيم اقبال فـان الفرق بين المؤمن والكافر لا يتحدد في ايمانه اللاهوتي أو عدمه بل هو كامن في طاقة المؤمن الخلاقة التي لا يتوفر الكافر عليها ، وانسجاماً مع ذكر ذلك التفكير يتحـدث على لسـان الله :

ان الكافر هو الذي لا يمتلك
في معرفتنـا قـوى خلاقـة • •

التأصل والخلق ليستا صفتين ممنوحتين للبشر بمقاييس متساوية • لذا يكون حافز الخلق لدى كل ذات متهيئاً على الدوام لتحقيق نفسـه بما يوفر

لها تجاوز الحد الذي بلغه وهذه الذات تكون متأثرة بعوامل عكسية ناتجة اما عن نظامنـا التربوي الفاسد أو عن تصرفات السلطة الخاطئة وعلى الذات في هذه الحالة التي تفرض عليـها اختصـاص الآثار السـلبية لمـا سـبق ان تعمل على ازالة تلك العوامل العكسية عنها وتحث السير في طرق خلاقة أصولية . ان العنصر الخلاق في الانسان يرفعه الى الارتقاء السماوي لتثبيط عزم الحافز الخلاق العكسي الذي يفسد خلق الانسـان ، ولا يدل الفشل في ميدان الجهود الخلاقة على أي شيء سـوى كونه مجرد محاولة ديناميكية خلقية .

لقد وقفنـا فيما ذكرناه سابقاً على القوى التي تقوم بتحصين الشخصية ، ولتوسيع صورتها أكثر نذكر المؤثرات التي سببت اضعافها والملخصة فيما يلي:

(١) الخوف

(٢) التسـول (طلب المعونة)

(٣) العبـودية

(٤) الغرور الذاتي •

وهذه الخصال الأربع هي التي تضعف الشخصية وتجعلها في المنحدرات وبالتالي تعدم الشخصية الفردية وتحرمها من نعم الله ـ لأن الجبـان لا يمكن أن يكون شيئاً مهماً مهما طال الزمن ومهما تداولت الأيـام ومثـله مثـل المستجدي المستعطي ومثل العبد الخنوع ، ومثل الرجل المغرور الذي لا هم له الا التبجح والتعالي الأمر الذي يجعل شخصـيته المغرورة شخصية واهيـة مزعزعة مهزوزة لا كيـان لها ولا قـدر •

وفي الآتي بحث مختصر للنقاط المذكورة : ـ

(١) الخوف : ان مثل الخوف كما هو معروف عنه ، وفي جميع جوانبه لا يختلف عن القلق والغضب ، والحقد ، والجبن ، فهو العدو الأكبر للجنس البشري الذي يتفوق بمؤثراته العميقة على جميع المؤثرات المعوقة للنمو البشري • ولكن قوة تأثره في سلب الانسان معظم كفاءته ، وتنكيد سعادته ، وجعله الكثيرين من الخاضعين لسلطانه جبناء لا يجرؤون على تحقيق ما تصبو اليه مطامحهم مهما كان تصنيفها في قاموس العدالة ، واللاعدالة وللخوف سوى ذلك صفات ذميمة عديدة فهو مصدر جميع الامراض التي تصيب النفس الانسانية وتطور العقل العكسي أي غير السليم بنسجه غلافاً حول طبيعة الانسان لاعاقة نموه الاخلاقي • لقد توصل اعلام علم النفس الحديث وعلى رأسهم فرويد ، وجونك ، وادلر بعد بحوثهم الدقيقة ، وكشف الحجب الكثيفة التي تغلب دواخل الانسان ودراسة المؤثرات العميقة للخوف على الطبيعة الانسانية الى ان معظم حالات الاختلال العقلي الذي يصيب البشر كالرجال المستأسدين ، والجبناء ، والطغاة ، والدكتاتوريين لا تنبع أصولهم الا من الخوف •

لقد علقت الكاتبة التركية الموهوبة هاليد أديب HALIDE E DIB في كتابها داخل الهند ان راحة عقل الطفل من الخوف في الشرق ذات أهمية اساسية للحياة البيئية ، الحياة المدرسية ، الحياة المدنية ، كلها تستعمل لتدريبه بواسطة الخوف ، ان عصا المدرسة ، او الارواح الخفية تلاحقه من المهد الى اللحد ، فالاباءوالمعلمون والحكام والمواطنون

والمستوطنون استعملوا على الأكثر الخوف والضرب ـ الضرب ـ والنتيجة التي تؤدي اليها كل تلك الافعال لا تعدوا الجبن وغرس جميع أنواع العلل المرضية في الفرد ، او الاستشاد ذاته عندما تسنح له الفرصة ...(١) ومن ثم فانه من الضروري ان تتغلب (الذات) على تأثيرات الخوف المسببة للشلل ، قبل ان تصل الى النضوج الكامل :

يا أيها السجين في سجن القلق والارتباك
تعلم من النبي هذا الدرس (لا تحزن)
فان كان لك رب ، فتخلص من القلق
تنقذ نفسك من التفكير بالربح والخسارة
ان قوى الايمان تضفي على الحياة طبيعتها الراسخة
وعلى الانسان ان يتلو كلمة لا تخف
فعندما ذهب موسى الى فرعون
ملأ قلبه بقوة من الكتمان(لا تخف)
ان الخوف من اي شيء سوى الله أمر يدعو للسخرية
فهو لص في قافلة الحياة
ومن أدرك سر المصطفى
يرى الكفر مختفياً في الخوف.

(٢) السؤال (الاستجداء) لقد استعمل اقبال هذا الاصطلاح الدال على طلب المعونة من الآخرين القادرين على تقديمها مطابقاً لاستعماله في اللغة الانكليزية(٢) وزيادة على ذلك فانه توسع فيه ، وأضاف اليه معاني اخرى لم تكن مألوفة باستعماله . ومن تلك الاضافات الابن الذي

---

1) HALID Edib Inside India P. 107
2) Beggary

يرث ابيه ، والانسان الذي يستعير أفكار غيره مدعياً انها من بنات ذهنه ضمن قائمة المتسولين .

وطلب الاعانة او التسول يجعل الفقر يصبح شديد المقت ، كما يحول الشحاذ الى حالة من الفقر متفاقمة . زيادة على حطه من قيمة النفوس ، وتجريدها من نورها الساطع .

ان التقدم بطلب ، أنحس الأشياء يجب منعه دينياً ، وخير مثل على ذلك ترجل الخليفة عمر عن بعيره وتناوله سوطه الذي سقط منه بنفسه ليمنع اسداء جميل احد عليه ولم يطلب من أحد مساعدته بتناوله واعطائه له .

كن مثل عمر الذي ترجل من بعيره
واحذر ان تكون مدين لأحد بالجميل حذراً شديداً .

ويدخل اقبال قائمة الشحاذين ايضاً جميع مستغلي جهود البشر الآخرين مهما بلغوا من درجات الرفاه لافتقادهم الى خلق رفاهيتهم وثرائهم بأنفسهم ، كما انه يجعل ضمنهم ايضاً الملوك الذين يعيشون على حساب رعاياهم ، ولا يقومون بأي عمل ، انه يساوي بين الصدقة والجزية والضرائب ، كما انه يعتبر جميع المتطفلين الذين ينتشرون في المجتمع تحت أسماء براقة ذات وضع مثير شحاذين كذلك . ويلخص اقبال رأيه بالتسول بقوله : تصور أي تطور عظيم يحدث للخلق الانساني ، واي كشف للثروة الداخلية للطبيعة الانسانية ، واية اضافة

للفكر الانساني تأخذ طريق سموها غير المحدود لو الغي هذا الفعل المسمى بالتسول من قاموس الوجود •

(٣) العبودية :(١) ليس ثمة شيء من الأفعال الانسانية البشعة التي يقوم بها الانسان حينما يفقد معنى بشريته أكثر فظاعة من العبودية التي تفسخ الأخلاق ، وتهبط بالانسان من مرتبة البشرية الى المستوى الحيواني دون الطبيعي ، وحسبها انحطاطاً كونها تؤدي الى اضعاف الذات الانسانية ، وتوجب استئصالها اذا كانت الذات البشرية تتطور بشكل عام • ان العبودية بمعناها المطلق لا تعدو سوى أحد الانماط الاجتماعية الرديئة التي يخططها الانسان الذي تلغى مشاعره الانسانية الحقيقة لغرض استغلال اخيه الانسان •

ولذا فلا يمكن ان ينمو الرجال الحقيقيون الا في ظلال الحرية فقط ، والتي يستمدون منها روحهم التي تسمو بهم في آفاق الخلق العلمي والعملي والفكري •

يقتل القلب في الجسد بسبب العبودية

وتصبح النفس تحت ضغط اسرها عبئاً ثقيلا على الجسد وبسببها تفكك جميع الروابط الاجتماعية ، وانها مصدر الصراع بين جميع البشر •

انني في هذا الوقت الذي أبحث العبودية وأبعادها في جزء كبير من العالم ، فانها ما تزال موجودة قوية الشوكة في عالمنا هذا بشكلها السياسي والاقتصادي ، وتحت تأثير مثل الأهوال فان الجسد يكون نهباً للاكتئاب بحيث ينساق الى الجمود نحو الذات لأنها تحتاج الى الحرية في نموها الطبيعي •

---

1 - Slavary

ولهذا فان جميع أنواع الاخضاع السياسي ، والاستعباد الاقتصادي يجب منعه ، وحظره ان كان الجنس البشري يطمح في الوصـــول الى المكانة الروحانيـة والأخلاقية المتسامية في الا نهائيتـها •

(٤) التـفاخر بالأنسـاب : ان هذه الظاهرة التي تقيم الحواجز المنيعة بين الناس يجب القضـاء عليـها قضاء تاماً ، وقطع شـأفة تشجيعها ، ومن ينحي اليـه • اذ ليس ثمة لهذه الظاهرة السـلبية من قيمة جوهرية ســوى استنادها الى اعتبار الانتساب الشخصي او الانحـدار الســلالي المتمثـلين بالعرق والأمة ، والعشيرة والمجتـمع والطبـقة الاجتـماعية ، والتـكوين العائلي • وتنتج عن هـذا النمط الاجتماعي المزاعم الخيالية التي ينسـبها كل متفاخر بانتسـابه الى احد تلك الاقسام الاجتماعية التي ذكرناها الى نفســــه •

ويتجدد ميلاد هذه الظاهرة ببداية اسـتيلاء بعض الاسر على دفـة الحكم ، وتمركز القوة السياسية في أيديهـا ••• وبعد ان مرت بمراحل متنوعة كثيرة اصبحت في الآونة الأخيرة موضع الاحتقار ، وبرغم النتـائج التي تمخضت عن الحروب وانبثـاق البلشفية التي أنزلت التفاخر بالانساب من عرشـه الى الحضيض الادنى الاان التقسيم الطبقي مازال مستمراً على تشجيعه ، ومحاولة انقـاذ موقفه الخاسر • وقد اشـار الى تلك النتيـجة هكسـلي ، وهادون •

(ان وجود شعب واحـد خرافة لا يقرها مفهوم التكوين الاجتماعي للشـعوب التي يختلط بعضـها ببعض بشكل حاسم • اما الفروق البيئيـة ، واللغوية ، فانها أنبل بعض الادعاءات التي يتبجح بها البريطانيون كالمستر

كليلنك مثلا وهي لا تختلف اطلاقاًعن ادعاءات بني اسرائيل ممن قام بتأليف الاناجيل)(١) •

واذا كانت العائلة تكويناً ناتجاًعن عوامل بايولوجية فان الامة ـ الدولة ـ هي مفهوم عصري ، غير ان التمسك بالعرق قد تجاوز في عصرنا هذا كلا المفهومين السابقين باختلاقه أحد العلوم الاجتماعية لخدمة تبرير التمايز الطبقي والطموحات السياسية وبالرغم من كل شيء فان التفاخر بالعائلة او الامة ، او العرق كلها خارجة عن الخط الانساني ، ومفاهيمه الصحيحة الناضجة لكونها تشكل عرقلة النمو الانساني ، واعاقة لتطورات الذات •

ان تفاخرك بالأجداد أمر خاطىء
ان نوع ارتباط الانسان الحي بأجداده الاموات
هو ارتباط ملغي في عرف الحياة
لأنه ارتباط جسدي ، ومادامت الأجساد فانية
فانها تصحب معها ارتباطها الى عالم الفناء
ولكن اسرارها كامنة في قلوبنا

ويجب ان يلاحظ ان عدداً من العوامل المذكورة تمثل ايجابية وسلبية الصورة نفسها ، واكثر دلالة على ذلك المثال الآتي : ان الرجل الذي يعمل بشجاعة لا يعرف للخوف معنى ، كما ان الرجل الجاد في كسب عيشه في حصانة من الالتجاء الى التسول ، ولذا فمن انه الثمرة الأخيرة لشجرة انسانية ، انه الحاكم الحقيقي للجنس البشري مملكته هي مملكة الله على الأرض •

---

1 - J. S. Huxley And A. Chadon : Hadon Europeans, p. II

اظـهر يـا راكب المصـير
اظهر يا ضـوء ظلام منطقة التغير
اصـمتي يـا ضوضـــاء الالم
شـنفي اســماعنا بالموســيقى
ارفعي صوتك الساحر واعزفي على القيثـارة لحن الأخوة
أعيـدي الينـا كأس المحبـــة
أعيـدي ثانية ايـام السلام الى العالم
امنحي رسالة السلام لأولئك السـاعين للحرب
الجنس البشري هو حقل القمح وانت الحصـاد
انت هدف قافلة الحيـــاة

... غير ان قواعـد تطور الفرد الموضحة اعلاه تستطيع الذات بموجبها أن تتطور تطوراً كاملاً ولكن بالتعاون مع ذاتيـات اخرى وليس في عزلة على الانســان الكامل ان يعمل بالتعاون مع الآخـرين ليـقيم مملكة الله على الأرض لأنه لا يستطيع الحيـاة مستقلا عن بني جنسه وعن المجموعة التي هو فرد منــها . وبياناً للحقيقة فان هذا التعديل للنشـاط الشخصي للمصـلحة الاجتماعية هو ذو فائدة أساسـية للانسـان ذاته لأنه لا يستطيع ان يصل الى ذروة امكاناته بدون ان يعبر عن الغرض الاجتماعي وهذا يعني ان على الذات ان تحيـا وتعمل في مجتمع (يعني المجتمع الراقي) مشيراً الى تأثيره على الأفراد . ويرد هنا بهذا الخصوص تلعليقات ماكدوكال: قد يبدوا ومن المحتمل حـدوث تأثير المجتمع في قوالب اخلاق اعضائه في عزلة عنه. فان سلوك جميع الرجال سيكون وقحاً ، ساعياً وراء النفس بلا رحمة بلا كبح من قبل اي اعتبـارات اخلاقية كسلوك جميع الثديات (الحيوانات

اللبونه) الأخرى(١) ولذلك علينـاان نقرر اي نوع من المجتمع هـو المطلوب من اجل التطور المحرر للذات وأي نـوع من المجتمعات يقـدم المجال الاعظم له عندما يتطور قبل تقرير طبيعة مثل هذا المجتمع المثـالي وعلينا ايضا ان نقرر العلاقات القصوى بين المجتمع والافراد ، فثـمة فريق من النـاس الذين يعتـبرون الفـردهو الغـاية العليـا لعمليـة الحيـاة ، والدولة مجرد أداة لتطوره ، ومن ناحيـة اخرى يوجد اتبـاع هيـكل (Heglians) الذين يعتبرون الدولة بصفتها ذات شخصية عليا وتكاملها أكثر أهميـة بالتمتـع بحقوقها من حقوق الفرد وبين هاتين الغايتين يتخذ اقبـال وجهة نظر متزنة اذ يعتبر نموشخصية كاملة حرة امرا مستحيلا مالم تحصل على مساعدة من ثقافة المجموعة الذي هو عضو فيها ومن جهة أخرى في مصالحها الخاصة تؤدي واجباً للفرد ولذا فانها تدخل بتطوره في افتراض ممكن ودعم الوضع الذي يتطلب المصلحة العامة باختصار نوعية حياة المجتمع هي كلياً نوعية حياة الفرد بمقياسها الواسع وما لم تكن نوعية الفرد سليمة ومنظمة فان المجتمع يكون دائماً في حالة فوضى ، وكما يقول كلينك :

الآن هذا هو قانون الغاب ، قـديم وصـحيح كالسـماء ، والذئـب الذي سيحرسه قد ينجح ، ولكن الذئب الذي سيخرقه يجب ان يموت •

كالنبات الزاحف الذي يلتف حول جذع الشجرة يجري القانون الى الأمـام والخلف • مع ان قوة القطيع هو الذئب ، وقوة الذئب هو القطيع •

وقد أشـار اقبال الى ذلك بطريقة أفضـل حيث قال :

ان ما يختص بالفرد من الناحية الاجتماعية فارتباطه بالجماعة خطوة مباركة تؤهل جدارته الكامنـة للحصول على الكمال من الجماعة •

1- William mc Dougale : Enesien of men p. 112

وعندما يعرف الفرد نفسه بالجماعة
يكون الفرد المنعزل عديم الشعور بالموضــوعيات
وتكون قواه نزاعة الى الانحلال

لمثــل هذا المجتمع المثــالي وضع اقبال ثمانية متطلبات ضرورية :

١ ـ يجب ان يعتمد على اعتبارات روحانيــة مثــل التوحيــد •
٢ ـ يجب ان يتمركز حول قيــادة ملهمة او نبــوة •
٣ ـ يجب ان يحرز على قانون يسترشــد به •
٤ ـ يجب ان يكون له مركز خاص به تشع منه نشــاطاته (مكة) التي يحجج اليــها الناس « التي فيها بيت الله الحرام » •
٥ ـ يجب ان يكون له هدف واضح يناضــل من أجله مع المجتمع الذي يناضل بكامله للوصول اليــه •
٦ ـ يجب ان يتوصل الى التفوق في التغلب على قوى الطبيعة (العلم) •
٧ ـ يجب تطوير الذات الجماعية او الاشــتراكية بالطريقــة نفســها التي تتطور بها ذات الفرد •
٨ ـ يجب ان يكون الحارس على الأمومة •

والآن سنبحث هذه المتطلبات بالتفصيل :

١ ـ التوحيد : ان أي مجتمع يفشــل في معرفة الاخوة الأســاسية للجنس البشري يحكم عليه بالفشل • وباعتماد انســاني على اعتبــارات العــرق ، واللون والعقيدة ، او الجغرافيــة يكون شــبيهاً ببنــاء بناية مهيبة على غــير أســاس متــين فان آراء المجتــمع ان تنهض على أسس آمنة فيجب ان تكون تلك الأسس روحــانيــة • عميــقة الجــذر الروحــاني

لا تتأثر بأي تاثيرات مضادة • وهذاالأساس الروحاني مجهز بمبدأ التوحيد ، والذي يعطي أساساً لوحدة العالم بقبول المبدأ الأساس القائل بأن الجنس البشري يمثل اخوة واحدة ، مبدأ التوحيد من وجهة النظر السايكولوجية يسعى الى ان يعيد عالم ممزق الى وحدته فهو يقدم لجميع الأعضاء في المجتمع وحدة الفكر ووحدة العمل •

ومن ثم فان جميع الأديان العظيمة قد أكدت هذه العقيدة • لم يكن اله قبلي ، ولا اله بعدي ، لتسجد لي من دوني لأني الله الغفور الرحيم(١) •

ويقول القرآن المجيد(٢) : « ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى اثماً عظيما » •

نجد الثقافة الجديدة أساس وحدة العالم في مبدأ (التوحيد)
ان أهمية التوحيد كالسمنت يمنع عناصر التفسخ الانساني وقد وضعها اقبال في السطور التالية باشارة خاصة الى المجتمع الاسلامي •
والعاطفية للجنس البشري فهو يتطلب الاخلاص لله وليس للعروش •
وحيث ان الله هو الأساس الروحاني المطلق لجميع الحياة فان الاخلاص لله في الواقع يعادل اخلاص الانسان بطبيعته المثالية الخاصة(١)•
ان الايمان باله واحد يزود الانسان بمناعة ضد تلك القوى الرجعية التي تستغل الاحقاد وتثير الطائفية • انها تجهز أساساً سيكولوجياً

---

١ ـ التوراة (Exod xx 3 -5)

٢ ـ القرآن الكريم ـ سورة النساء ـ الآية (٤٨)

3 - The Reconstruction of Roligion in Islamic p. 140

للمجتمع باستعادة الوحدة الضرورية للجنس البشري ، وبالاصرار على ان الجنس البشري بكامله يمثل اخوة واحدة مرتبطة بعضها ببعض برابطة روحانية . ومثل هذه الأفكار تستطيع ان تعمل بصفتها قوى موحدة وتحطم انقسام الجنس البشري الى عشائر متحاربة ومعسكرات عدائية .

ان ما يؤدي الى الوحدة بين مائة فرد
ليس سوى سر من أسرار التوحيد
الدين العقل والقانون جميعها من مؤثراته
السلطة ، القوة ، التفوق ينشأ منه
ان تأثيره يحرر العبيد
وهو قادر على خلق نماذج جديدة منهم
فمنه يهرب الشك والخوف ، وتبقى روح العمل
وترى العين سر الكون نفسه

(٢) النبوة : ان الدور الذي لعبته النبوة في منح الانسانية قيمتها لا يمكن صرف النظر عن تقويمه والتكريس الذي قدمه الناس تجاه الأنبياء العظماء وضع لنا مقياساً لمعرفة الجنس البشري عن مدى ما هو مدين به لأولئك القادة الملهمين . وكان الاخلاص للانبياء دائماً مصدر قوة لشعوبهم ، وبالنسبة للمسلمين فان الشخصية البارزة تجهز نقطة مركزية حيث تحيط بها جميع أنواع الاخلاص وتختفي جميع الاتجاهات الفاسدة . وهكذا فان الايمان في النبوة او القيادة الملهمة تحدنا بحجر الزاوية المهم الثاني لبناء المجتمع المثالي .

مرحباً . مجيئك أعاد للحياة ربيعها :
أمدنا ظهورك بتفسيرات لأحلام الحياة

نالت الأرض مجدها من قصرك
وتشرق الشمس من الشرق بتقبيلها سقفك
وأضاء اشعاع وجهك الكون
فالاتراك ، والاعجام والعرب كلهم أتباعك
فقد أنرت شموع الحياة في الكون
وعلمت الصبية معرفة الاسياد
ان وجودنا على الارض يرتكز على النبوة
وقد اشتق ديننا من النبوة ، وشريعتنا
لقد وحد النبي مئات الآلاف منا في قلب واحد
بحيث التحمت جميع الأجزاء بعضها ببعض بلا انقسام
ومن النبوة توصلنا الى وحدة العقيدة
التي أنتجت لنا وحدة النفس ووحدة الهدف .

وسوف يتبين لنا ان المجتمع عندما يبنى على أسس روحانية توحيدية ونبوة مميزة عن الأسس الدنيوية ، فعندما يتوقف عن كونه وظيفة مكانية او زمانية انه يحرز قيمة لا تبطلها مثل هذه الحدود ويصبح أبدياً لا يتلاشى ، انه يمتلك قوة مساندة تمكنه مواجهة جميع المهاجمات من الداخل والخارج . والواقع فانه يحظى بذلك بما أسماه فلاسفة الهندو نوعية اللاهوت .

(٣) قانون : (القرآن الكريم) يجب ان يكون للمجتمع قانون للسلوك لكي يرشده أثناء زمن الاضطرابات وعدم الاستقرار وسط تذبذب القيم التي تطبع الصدق والتأكد النابعين من أوضاعها المرتبكة . الجيل مقبل ، يظهر مؤمناً بالخرافات وفارغاً من المعتقدات في عيون الأجيال المتعاقبة ، والقانون يمنح الاستقرار للحياة . ففي هذا العالم المتناوب

القيم ، وعندما يواجه المجتمع بمتاعب الحياة يبدأ بفقدان الثقة بالنفس في مقياس القيمة ، فالقانون يفيد كونه مرشداً يقود المجتمع الى شاطىء الأمان وبدون قانون مناسب للسلوك فان الحياة الاشتراكية سوف تنتهي بالتأكيد بفوضى . وبالنسبة للمسلمين فان القانون جاء به القرآن الكريم .

انه آخر رسالة للجنس البشري

وحامله هو بركة للعوالم كلها (رحمة للعالمين) .

٤ ـ المركز : (الحج)

يحتاج كل مجتمع الى مركز تشع منه جميع نشاطاته الثقافية والاجتماعية وتمد هذه النشاطات المجتمع بدم حياته ويؤدي المركز وظيفة القلب حيث يجهز الاطراف البعيدة بالدم النقي الطازج وطالما كان المركز هو مصدر الدم واهب الحياة ، فان الجسد بكامله سيؤدي وظائفه باتقان وبدون خلل . فقلب المسلمين جميعاً هو مركز اشعاع النور والهداية (مكة المكرمة) وهي بمثابة ذلك القلب يحج اليها المسلمين وهي مركزهم الاشعاعي الذي يمنحهم التعارف والتعاطف والنور ويهديهم الى الصراط المستقيم وهي مهبط الوحي والتنزيل « ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا » .

٥ ـ الهدف : ـ

لاحراز تضامن حقيقي يجب ان يكون لكل جماعة او مجتمع هدف محدد وواضح جيداً تجاه المنجزات التي توجه اليها جميع النشاطات وهذا الهدف يفيد بكونه علامة مميزة لارشاد المجتمع عندما تنشىء أسباب التفسخ والانحلال حالة تفكك في اهداف بين الجنود العائدين وبالنسبة للمسلمين فان هذا الهدف هو وليد شريعة وحدانية الله او التوحيد وهو

أنبل هدف يمكن التفكير به • وقد يكون للآخرين مثل هذا الهدف الدنيوي كغزو البلاد او التوصل الى سلطة سياسية والسيطرة ولكن أولئك غير قادرين على انعاش حياة ذات تحمل عال وعدم انانية وهذا لا يحققه سوى هدف روحاني عظيم. توحيد الله والخلوص اليه واتباع شريعته •

٦ ـ غزو قوى الطبيعة (العلم) :

على كل فرد يود تحصين شخصيته ان يحرز سيادة على بيئته اي يتوصل الى السيطرة على قوى الطبيعة بتطوير دراسة العلوم ، ويعني هذا تطور نظرة الانسان العلمية الخارجية والذي يبدأ من خلال ذلك بالتعمق في أغوار الطبيعة ، بينما يكون هذا ضرورياً للفرد ، فانه بالنسبة للمجتمع فانه موضوع حياة او موت • ان الغرب مدين في تفوقه لتطويره للمصادر الفيزياوية ودراسة الظواهر الطبيعية ومن احد الاسباب الرئيسية للانحلال في الشرق هو اهمال العلوم الذي ادى الى التفسخ والانحلال السياسي والاقتصادي ويبين تاريخ العرب النتائج التي نشأت عن اهمال العلوم في أحرج ظروف عظمتهم . قاد العرب شعوب العالم الى دراسة وغرس العلوم ويقول بيفولت: ان العلوم هي الأثر الأعظم الذي تركه العرب للعالم الحديث •

وهذا لا يوجد في اي مكان (أي التأثير الحاسم للثقافة الاسلامية) بنقاوتها وعظمتها كما في تكوين تلك القوى التي كونت القوى المميزة للعالم الحديث والمصدر الفائق لانتصاراته ـ العلوم الطبيعية والروح العلمية ـ ، ولكن عندما بدأ العرب يهملون العلوم فانهم سرعان ما فقدوا المركز السامي الذي أحرزوه في العالم •

وقد كتب الدكتور ساخو (SACHAU) مشيراً الى ذلك :

ان الفضل يعود الى الاشعري والغزالي - من اعظم علماء العرب والمسلمين - لتوصل امة جاليلو ونيوتن الى ما توصلوا اليه ، وكانت نتيجة اهمال العرب للعلوم انهم افسحوا المجال للأمم الأوروبية من أخذ علومهم والتقدم بها .

٧ - تطور الذات الاشتراكية : -

لكي يحصل المجتمع على الاستقرار والازدهار عليه ان يطور ذاتيته الجماعية تماماً كالفرد ، ويعتبر هذا ممكناً بالحفاظ على التقاليد ، ولمشاهدة الدور المهم الذي تلعبه التقاليد في حياة الجماعة على المرء ان يلقي نظرة على هذا التاريخ وخصوصاً التاريخ الاسلامي وتاريخ العرب . فما من أمة تمسكت بتقاليدها الحسنة وأصابها الفشل ! . فبالمحافظة على كيان أفرادها باشتراكية الجماعة والحفاض على كل موروث حسن ولن تأبه بأي شيء يعترضها من تعذيب وتشريد وتشتيت من لدن الحاقد والمستعمر واهله ، فبالصبر والتمسك بما لديها من تقاليد حسنة والنضال من أجلها ستبلغ ضالتها المنشودة ، لأن التعذيب والتشريد الى غير ذلك من التعسف بالحقوق لن يفت بعضدها ولن يكون له أي جدوى في اي مفهوم لها . ولماذا فشلت كل المحاولات في تشتيت وتمييع المسلمين والعرب : ؟ لأنه من خلال جميع تجاربهم ومحنهم فقد بقى المسلمون والعرب مخلصين لتقاليدهم القديمة النافعة وفي حقب الازدهار يخلق كل مجتمع تقاليد سليمة معينة ، وفي زمن البؤس لا يستطيع المجتمع ان يفعل افضل من ان يلتصق بتقاليده حتى يتحول تجاه الجزر والمد .

٨ ـ الأمومـة : ـ

لكي يفهم المرء اهمية الأمومة ومكانتها الاجتماعية في تخليـد الأمم وتحصين شخصية الفرد والبلوغ الى شموخ الفرد والسؤدد وايجاد الحيـاة الحرة الصالحة الخالية من الشوائب والتي تمثـل ذات الله عليـه فقـط ان ينـظر الى الفيضـان المتزايد للأدب المنشـور في كل قطر أثنـاء الأزمنـة القريبة العهد مدافعاً عن الأمومة التي هي اساس بناء المجتمعات وخالقـة بني الانسان واستناداً الى اقبال فان الذهب والفضة لا يؤلفـان ثروة لأي شـعب ، اذ ان الثروة الحقيقية للمجتمع كامنة في أبنـائه ، في حيويته وقوته ، في عمله الجاد وسرعة بديهتـه « الانسان أثمن رأس مـال » ويقـول : آرثربيريانت : **(Arthurbryant)** في كتابه : القصة الانكليزية الزاخرة بالاعمال البطوليه **(The English Saga)**

ان انكلترا الآن تتعلم ثانية بأنـه لا الثروة ولا السلطة ولا الطمأنينيه سواء للطبقة او للفرد تكون غايات في حد ذاتها : وان ثروة الأمة لا تتألف للحماية الا من فصيلة ابنائها وابنـاء ابنائها ، فان كان الامر كذلك فـان الأمومة لا تحتـاج فقط للحمـاية والتشـجيع ولكن يجب اكرامها وكل قطر في العـالم يفعل ذلك في الوقت الحاضر ، وتبرهن الجوائز القيـمة التي تمنـح لأرباب اكبر العـائلات وتكرم النساء اللواتي ينجبن اكبر عدد من الأطفال على ان العـالم الحديث قد تحقق من اهمية الامومة التي وعظ بها اقبـال قبل حوالي ربع قرن ، والابرز من ذلك كله عنـدما يتـذكر المرء انه الى وقت قريب كانت الامم ماتزال مصممة على وضع الرقابة على المواليد وانشـاء التغيير في مواقفها تجاه الامومة الا من عهد قريب وانسياقاً وراء عدم تشجيع الامومة فقد اقتيدت بعض الامم الاوروبيـة الى ارتكاب جريمة انتحار سياسي واعتبرت وأمم اخـرى مذنبـة لامتنـاعهم عن اداء

الخدمات لثقافتها وتاريخها وبذلك فقد أنكرت على نفسها الدور المهم الذي لعبته بمنجزاتها الماضية المؤهلة لكي تلعب دورها في الشؤون العالمية .. ولقد عبرت هيلين جاكسون عن اهمية الامومة بهذه الكلمات الجميلة الملهمة .

ان المرأة التي تخلق وتصون بيتاً ، حيث ينمو تحت سقفه أطفال يكونون اقوياء ورجالا اتقياء ونساء نبيهات لهي الخالقة الثانية بعد الله .

يلاحظ مما اوردناه اعلاه ان اقبالا في فلسفته عن الذات وتحصينها لم يقدم فقط مخططاً كاملا لتطور الأفراد ولكنه ايضاً ثبت وضع ضروريات المجتمع ، والتي هي من جهة ستساعد على تطور الفرد ومن جهة اخرى ، ستقدم المجال الأفضل لفردية الانسان المغلقة الخلاقة وايجاد المجتمع الفاضل للأفراد .

وخلاصة القول ان العلامة اقبال لم يأل جهداً الا ووضع النقاط على الحروف في كل صغيرة وكبيرة ليفرش الدرب للانسانية بالرياحين والورود وليجعلها صافية من كل شوائب الحياة ويسمو بها الى التخلص من الأنانية ويجعلها حرة في منطلق الحياة ساعية وراء كل فضيلة ومتعاونة كل التعاون في جميع المجالات الاجتماعية ، الاقتصادية ، السياسية ، العلمية ، اي كل ما يتطلبه الانسان من الحياة النبيلة .

فسلام عليك يا اقبال مادام للشمس نور في الحياة وللقمر ضوء منير يسطع . ولتتحد القوى الخيرة لتهتدي بهديك وتسير على خطاك وحقاً انك الباني والصانع وانك المفكر والفيلسوف وانك الهادي والمهدي.

وسلام عليك يا اقبال من وادي الرافدين وأهله وسلام عليك من

العراق الثائر على الطغيان وسلام عليك من بلاد ثورة السابع عشر من تموز التقدمية التي هي سند لكل شعب مناضل ولكل شعب يريد ان يكون شيئاً تحت الشمس ويتحرر من قيود العبودية والاستعمار والرجعية . وسلام عليك من بغداد الطاهرة ومن العراق الأبي الذي ينظر الى أدبك وفلسفتك وشعرك باعجاب وترحاب وتقدير والسلام عليكم .

كلمة الأستاذ اعتزاز حسين

السكرتير الأول للسفارة الباكستانية ـ ببغداد

بعنوان (اقبال شاعر الشرق)

بمناسبة الذكرى المئوية لميلاد اقبال

مترجمة عن الانكليزية

ترجمة مهدي حمود الفلوجي



(٣) الأستاذ اعتزاز حسين السكرتير الأول لسفارة
الجمهورية الباكستانية - ببغداد .

اقبال شاعر الشرق

ان من يتصفح التاريخ وخصوصاً تاريخ العظماء والشعراء يجد بحق أن العلامة اقبال شاعر فريد ليس للاسلام فحسب بل للعالم أجمع • ولم تتلألأ رسالته باشعاعها الوقاد على الاسلام فقط بل انها شملت العالم كله • فهو مصدر روحي للمسلمين في كل أرجاء العالم • فكره وفلسفته وفنه لا تنحصر في فترة زمن واحد وفي موضوع واحد • وله فلسفة ذات أبعاد وصفات يمكن أن تكون دليلا عالمياً في كل الأوقات • وعام ١٩٧٧ هو عام ذكراه المئوية لميلاده الذي احتفلنا به • وبحلول هذه المناسبة يجدر بنا أن نقدم لمحة زمنية خاطفة عن حياة هذا الشاعر الفيلسوف العظيم •

لقد ولد الفيلسوف الشاعر في يوم الجمعة التاسع من شهر تشرين الثاني عام ١٨٧٧ في سيالكوت في باكستان • وقد وضع والده الشيخ نور محمد الذي كان يتمتع باحترام كبير لاخلاقه الدينية العالية أسس ثقافة وديانة اقبال • وقد تتلمذ اقبال في المدرسة الأبتدائية والجامعية في مدينته واجتاز الامتحان المتوسط في عام ١٨٩٥ في كلية الارسال السكوتلندية في سيالكوت• وهناك وقع تحت تأثير العالم البارز شمس العلماء سير مير حسن الذي صقل ذوقه الفارسي (باللغة الفارسية) وتصبّره (هداه الى) مؤلفات الشعراء الصوفيين العظماء • وبعد تخرجه من الكلية الحكومية في لاهور في باكستان عام ١٨٩٧ حصل على درجة ماجستير الآداب في الفلسفة بعد سنتين من جامعة البنجاب ومنح وساماً ذهبياً لتفوقه • وخلال هذه الفترة اتصل بالسير توماس

ارنولد العالم الكبير في التاريخ الاسلامي والفلسفة الذي بث فيه روح التحمس للتعاليم الاسلامية وطريقة الدراسات الحديثة الدقيقة • وفي عام ١٩٠٥ غادر الى أوروبا للدراسات العليا • وبعد اكماله لبحثه الفلسفي في هيلدلبرغ ذهب (سافر) الى جامعة كمبردج كطالب متخرج لدراسة الفلسفة حيث اتيحت له فرصة الاتصال بالدكتور ماك تاغارات والاستاذ (البروفسور) اي•جي•براون والاستاذ (البروفسور) آر•أي• نيكلسون • وقد دعي الى المناقشة في مدينة لنكولن في عام ١٩٠٨ وحصل أيضاً على الدكتوراه من جامعة ميونخ باطروحته الموسومة « تطور ما وراء الطبيعة في ايران » • وفي نفس السنة عاد الى لاهور ومارس مهنة المحاماة • ثم عين أستاذاً للفلسفة في الكلية الحكومية في لاهور عام ١٩١١ لكنه قدم استقالته بعد فترة وجيزة (وقت قصير) • واعترافاً بعبقريته (بنبوغه)وتفوقه الشعري توج كشاعر موهوب في عام ١٩٢٣ وانتخب عضواً في الجمعية القانونية للمقاطعة في عام ١٩٢٦ وهو المنصب الذي شغله حتى عام ١٩٢٩ ـ وبهذه القابلية دافع عن الفلاحين ضد الاقطاعيين واقترح عدة اصلاحات كانشاء مساعدات طبية للمناطق الريفية تخصيص نصف الأرض لحارثي التربة (الفلاحين) وطالب باصلاحات ثقافية وتسهيلات أكثر للثقافة الاسلامية • وفي عام ١٩٢٨ قدم محاضراته الشهيرة التي تدعى بـ « اعادة بناء العقائد الدينية في الاسلام • وقد ترأس جلسة الهيئة الاسلامية في عام ١٩٣٠ حيث في خطابه الرئاسي أظهر فكرة الباكستان التي بعد عشر سنوات ازدهرت أو أتت أكلها في قرار باكستان التاريخي عام ١٩٤٠ في لاهور • وفي عام ١٩٣١ كممثل في مؤتمر المائدة المستديرة الثاني دافع عن الحركة الاسلامية (في شبه القارة) وحقوق المسلمين وتمثيلهم • وخلال هذه السفرة لأوروبا التقى بالفليسوف الفرنسي البارز بركسون

وتناقش معه في فلسفة الوقت والفراغ والمؤسسة ٠ وفي عام ١٩٣٣ اجتمع بنيتو موسوليني في ايطاليا وبحث معه الثقافة الاسلامية والفلسفة ٠ وفي نفس السنة زار أسبانيا وشهد تراث الحضارة الاسلامية العظيم وصلى في مسجد قرطبة ٠ وفي أواخر السنة زار كابل مع وفد بدعوة من الملك ظاهر شاه ليزجي النصح حول اعادة بناء الثقافة الافغانية الشرقية ـ وفي عام ١٩٣٦ و ١٩٣٧ أرسل عدة رسائل الى القائد العظيم محمد على جناح لتوضيح منهاجه (وطن المسلمين ٠٠ الباكستان) من الوجهة السياسية والثقافية ٠ وفي الثلاثاء يوم ٢١ نيسان ١٩٣٨ ودع الحياة وذهب الى العالم الآخر ٠ ومن مؤلفاته :

١٩٠٣	علم الاقتصاد
١٩٠٨	تطور ما وراء الطبيعة (الميتافيزيقيا) في ايران
١٩١٥	أسرار خودي
١٩١٨	رموزي بي خودي
١٩٢٣	بيام مشرق
١٩٢٤	بانك دارا
١٩٢٧	زبور عجم
١٩٣٠	اعادة بناء العقيدة الدينية في الاسلام
١٩٣٢	جاويد نامه
١٩٣٥	بال جبريل
١٩٣٦	بس جي باياد كارادي أقوام شرق
١٩٣٦	ضرب كليم
١٩٣٦	مسافر
١٩٣٦	أرمغاني حجار

الدكتور محمد اقبــال شاعر الاسلام وفيلسوفه

الخطاب الذي ألقاه

الأستاذ نور الدين الواعظ المحامي

في دار السفارة الباكستانية في ١٩٧٧/١١/٩

بمناســبة الذكرى المئوية لميلاد العلامة اقبــال

الدكتور محمد اقبال شاعر الاسلام وفيلسوفه

« الخطـاب الذى ألقـاه الاستاذ نور الدين الواعظ المحـامى

أيها الحفل الكريم :

– من كشمير – بلد السحر والجمال ، والرياض الغناء ••• ذات البلابل الصداحة ، مع اطلالة الفجر الذهبية •• والميـاه المتدفقة بين الجبال ، المنحـدرة الى الوديان ، بألوانها الفضية المتنـاثرة ، وهى تصـدح بأعـذاب الألحـان •

– من كشمير – تحركت قافلة مؤمنة ، حاديها صـدق النية ، وشارتها نداء الحق •• وأفرادها من الذين « صـدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا » •

– من كشمير – هاجرت عائلة أقبال مع قافلة الايمان وهى تنـحدر من أصـل برهمى •• آمن جـدها الأعلى على يد شيخ صوفي • وكان محمد توفيق جـد أقبال ومحمد نور والده ، مع القافلة التى حطت رحالها في « سيالكوت » من مقاطعـة البنجاب •

– في سيالكوت – وفي روضة من رياضها ، استقرت العائلة المؤمنة •• وفيها نمت الشـجرة الزاهيـة أصلها ثابت وفرعهـا في السماء •• فأهتزت وربت •• ثم أثمرت •• فكان أقبال •• الثمرة الغالية لهذه الشـجرة المباركة ••

ـ في أحضـــان أم رءوم ، عاش اقبال •• وتربى ••
فكانت ورعةً تتحرى الحـــلال في مأكلها •• والصـــدق في حديثها والحنان في تربيتها ، وحسن المعاملة مع جوارها ••
وعنها قال اقبال •• (ساميتِ النجم بترتيبك •• وكان فخر الادباء والأجـــداد بيتُك) ••

ـ وفي رعاية آب ملأ قلبه حباً وعشقاً بالذات الالهية نشـــأ اقبال ، ومن روحه العالية استمد الالهام وهو الذى قال له يوماً (يا بنى •• أتلُ القرآن ، وكانـــه أنزل عليك وعنه قـــال اقبـــال (ومنذ ذلك اليـــوم ، بدأت أتفهم القرآن وأقبـــل عليـــه ، فكان من أنوارهِ ما أقتبست •• ومن دُرره ما نظمت) ••

ـ في سيالكوت ـ أتَمّ الصبىُ حفظ القـــرآن الكـــريم •• ومنهـــا تنتقّل نوُر هلاله وفي لاهور تمّ البدرُ نوراً وضياءاً •• ففيها أتم دراسته بكليـــة لاهور الشرقيـــة وكان أخـــذ الألهـــام من أستاذه (مير حسن) الذى فتح أمامه آفـــاق الأدب العربي والفـــارسي •• فعرف دقائق القرآن الكريم •• وبلاغة الحديث الشـــريف •• وأطلع عـــلى أدب المعـــري والمتـــنبي •• ووقف عـــلى أراء ابن ســـيناء والغزالى •• وألتقت الى دقائق الفكر الفلسفى الاسلامي واستيقظ قلبه على الألحـــان النـــارية المنبثقة من فؤاد الحكيم السنائي وقلب فريد الدين العطار ومن مُهجة جـــلال الدين الرومي وعبد الرحمن الجابي وأبي سعيد وحافظ الشيرازني •• والعراقي •

ـ أجـــل في لاهور تكامل استيعابه للفكر الاسلامي ، وهضمة للأدب

الصوفي العـالي •• وفي كليتهـا الحكوميـة تعرَّف على أستاذه المستشرق المنصف توماس أرنولد ، فشجعه على الاستمرار في قرض الشعر ، والتعمق في دراسـة الثقافة والفلسفة الغربيـة الى جانب ثقافته ودراسته للقرآن الكريم والحديث الشريف والأدب الاسلامي بمفهومه العام الشامل •• وهو الذى دفعه الى جامعات ـ الغرب •• فأنتقل أقبـال الى جامعـة كميرج ، ودرس فيها فلسفة الاخـلاق وعلم الاقتصاد على أساتذة كبار ، ثم قصدِ جامعة ميونخ في ألمانيا ، ونال منها شهادة الدكتوراه في الفلسفة برسـالته المشهورة (تطـور فكرة ما بعد الطبيعة في بلاد الفرس)

وفي ألمانيـا درس عن كتب ، فلسفة نيتشه وشو بنهور وهيجـل •• ثم عـاد الى لندن ودرس في جامعتها القـانون ، ونال منهـا شهادة المحـاماة •••

ـ فعاد الى الوطن سنة ١٩٠٨ ، بعـد أن نال من ثقافة الغرب وفلسفته نصيباً كبيراً ، ودراية عميقة وعنها يقول أقبـال « لقد اقتطفتُ من علوم الغرب شيئاً كثيراً ، وتناولتُ من خمرة حانته كأساً دهاقا •• باله من صـداع اشتريته » ••

لقد عشت بين علمائه وفلاسفته ، وبين غيده ألحسـان •• يا لها من فترةٍ مظلمة •• قضيتُها من حياتي حُرمتُ فيها لذة الحب ، ونعيم القلب ••

ان دروس الحكماء قـد صدعت رأسى ، وكدّرت بالى ، ذلك لانى نشـأت في حضـانة الحب والايمان ••

ـ ثم يلتفت أقبـالُ الى علماء الدين من معاصريه فينتقد فيهم الجفاف

واتساع العلم وتضخمه على حساب العاطفة والحب ولوعة القلب فيقول « ان العالم الديني لا يحمل هما ، ان عينه بصيرة ولكنها عصية الدمع .. لقد زهدت في صحبته ، لانه علم ولا هم .. وأرض مقدسة ولا زمزم » ..

أجل ..

- عاد اقبال الى وطنه الهند .. أستاذاً جامعياً مرموقاً .. للأدب العربي والأدب الانكليزي ، والفلسفة الاسلامية .. فذاع صيته ، فدعته الجامعات في انحاء الهند لإلقاء المحاضرات الفلسفية والفكرية فكانت محاضراته التى ألقاها في مدارس وجمعت في كتاب (تجديد الفكر الديني في الاسلام) ثمرة يانعة من ثمار محاضراته التى ألقاها في مختلف المعاهد والمؤسسات العلمية والفكرية .. فهى تمثل قمة تفكيره الفلسفي ونظراته العميقة ، للكون ، والانسان ، والحياة ، والتشريع ، على ضوء الاسلام ولكن يشوبها من الغموض ، متأت من الايجاز والتركيز اللذين لازما هذه المحاضرات ، فهي في حاجة الى التفصيل والتبسيط والايضاح ، كي تكون اكثر وضوحاً . وأدق تعبيراً عن الغايات والمقاصد التى استهدفها العلامة أقبال من القائها ..

- رغم المكانة العلمية المرموقة التى كان يتمتع بها اقبال في حياته الجامعية ، كعميد لكلية الدراسات الشرقية ورئيس لقسم الدراسات الفلسفية فيها ، الا أنه آثر العمل في المحاماة ، عليها ، باعتبارها مهنة حرة يجد فيها حريته وانطلاقه الفكرى لاداء رسالة الأدب والشعر ، التى كان يشعر بأنها أمانة مقدسة في عنقه عليه أن يؤديها لامته الاسلامية ..

لأن اقبـالاً .. يرى ، الشعر فنا رفيعا ، يعبر عن حقـائق الوجود ، بقبس من نار القلوب .. والصمتُ ـ في رأيـه ـ خير من شـعر لا يبعث في النفس قوة الحيـاة ، ونضرة الأمل ولا يحـدو الناس الى المعالي ، ويحبب اليهم الحياة العزيزة الكريمة ..

ولا غنى للشـعر أن يكون جمالا وجـلالا .. وان يكون بانيـاً او هادماً ، وانْ يكون هـٰديا الى كمال أو ثورةً على نقص ..

لذلك .. فأنه عاش لرسالة الشعر التى آمن بها .. بقلبه ومشاعره .. فترك دواوينه الخالدة .. وهى :

١ ـ أسـرار خودي ـ أسـرار الذاتية ـ بالفارسية نشر سنة ١٩١٥

٢ ـ رموز بي خـودي ـ رموز نفي الذاتية ـ بالفارسية نشر سنة ١٩١٨

٣ ـ بيـام مشرق ـ رسـالة المشرق ـ بالفارسية نشر سنة ١٩٢٣

٤ ـ بـانك دار ـ صلصة الجرس ـ نشر سنة ١٩٢٤ ـ بالأردية

٥ ـ زبـور عجـم ـ زبور العجـم ـ نشر سنة ١٩٢٩ ـ بالفارسية

٦ ـ جـاويد نامـه ـ رسـالة الخلود ـ نشر سنة ١٩٣٢ ـ

٧ ـ مسـافر ـ عن وحى زيارة افغانستان ـ نشر سنة ١٩٣٤ ـ

٨ ـ بـال جبريـل ـ جنـاح جبريل ـ نشر سنة ١٩٣٥ ـ بالأردية

٩ ـ بس جى بايد كرد أى اقوام شرق ـ نشر سنة ١٩٣٦ ـ بالفارسية
ما ينبغي ان تعمل يا أمم الشرق

١٠ ـ ضرب كليم ـ ضـرب الكليم ـ نشر سنة ١٩٣٧ ـ بالأردية

١١ ـ أرمغان حجاز ـ هدية الحجـاز ـ نشر بعد وفاته ـ بالفارسية

هــذا الى جانب مؤلفاته الاقتصــادية •• والفلسفية •• ورســائله الى الزعماء ، خصوصاً الى الزعيم محمد على جناح •• والى خطبه وبياناته ويومياته التى نشرت بعــد وفاته ••

ــ ان هــذه الثورة الشعرية والأدبيــة والفلسفية التى تركها العــلامة أقبــال تكون مدرسة أدبية وشعرية وفلسفية كاملة تحتاج الى وقفة طويلة ، ودراسة عميقة ، وتحليل دقيق مع كفاءة كافية للوقوف على دقائق الاراء والافكار التى عبر عنها اقبــال بالشعر المتدفق كالحمم البركانيــة تارة ، وبالتعبير الفلسفي العميق ، كعمق المحيطــات تارة أخرى ؛ فمحال أن يتمكن خطيب ، أو متحدث او محاضر من الاحاطة باراء وأفكار وفلسفة اقبــال في خطبة مناسبة أو حــديث عاجــل أو محــاضرة محــددة الوقت ••

لذلك فأن اعطــاء فكرةٍ شــاملة عن جوانبِ فكــره أو فلسفة وشعره ، غاية بعيدة المنال في كلمتنا هــذه ••

لذلك فأن اعطــاء فكرةٍ شــاملة عن جــوانب فكره او فلســـفته (الذاتية) التى اشتهر بها العــلامة اقبــال •• مع ترجمة أبيات من قصيدته المعنونة (الى الامة العربيــة) ••

١ ــ ان الذاتيه •• وهى شعور الانسان باستقلاله الذاتي وابتعاده عن عبودية أمثاله من الموجودين والموجودات ، هــذه الذاتية ــ وهي استقلال كل كائن وجودى ، بكيانه عن الآخرين ــ وهى جوهر الكون •• وأساس نظامه •• وسر الحيــاة فيه ••

لذلك يؤكد على استقلال الذات •• والشــعور بكيان المســتقل عن الغير ، داحضاً ، لفكرة وحــدة الوجود التى تدعو الى فناء

الذات في الذات الالهية ، على مذهب بعض الأعاجم من المتصوفة ..

٢ ـ ان الذاتية هذه ، تعيش وتحيا ، بخَلْق المقاصد الرفيعة ، وتوليد الآمال السامية .. فيقول (نحن احياء بخلق المقاصد .. ونحن منيرون من شعاع الآمال) ..
وأرى أنه يستمد هذا الركن من فلسفته من الآية الكريمة (ولا تيأسوا من روح الله) ..
لأن اليأس يدعو الى موت المقاصد ، واضمحلال الآمال .. وانطفاء شعلة الحياة في القلب ، رغم استمرار نبضاته .

٣ ـ ان الذاتية .. هذه تقوى بعشق ما تؤمل ، وسعيها اليه ، غير متوانية ، واقدامها عليه غير هيابة واقتحامها كل عقبة في سبيل الوصول اليه ، وفي ذلك يقول (هى بالمحبة أقوى ، وأحيا ، وأضوء) ..

٤ ـ ان الجهاد الدائم والكفاح المتصل ، تقوى به الحياة وتزداد وتنير ، وان الاحجام والسكون الى الخضوع والدعة يضعف الحياة .. وهذا صدى لقوله تعالى (وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم) ولقوله (ص) (الجهاد ماضي الى يوم القيامة) ..

٥ ـ على الانسان الحريص على ذاتيته .. أن يستخرج كل ما في فطرته من مواهب ، وان يعتمد على نفسه ، ويظهر ذاته ويتجرد عن التقليد الاعمى والركون الى غيره ، وطلب ما عند الناس ، والغفلة عما في نفسه من كنوز ..

هـذه هي الذاتيـة ، عند اقبـال •• وتلك هي وسائل دعمها على وجـه الاجمـال ••

وان اقبالا في فلسفته معجب بالقوة •• بمعناها العـام الشامل •• فهو معجب بالفيلسوف نيتشـه ولكنـه يؤاخذه على تأكيـده للقوة الحسية •• فيقول عنـه ••

« انه عـرف العقـل لا القلب
والجسـم لا الـروح
والعلـم لا العشـق »

فالقوة عند اقبـال من عناصر الجمال •• ولكن الجمال لا يتكامل في نظره ـ بغير جلال ، وفي ذلك يقول ••

عندى جمال في بهاء أن ترى •• في سجدة لقوة الافلاك ••
ولنعمة من دون نار نفخة •• ما الحسن الا بالجلال يُحاك ••

ثم يقـول ••

لا أرتضى نار الجزاء ولم تكن وهّاجَة ولهَيبها دَرّاك

ويرى اقبال ان من مقتضى الذاتية •• ان يكون الانسان حراً غير مجبر •• ومخيراً غير مسير •• وأن يسير في طـريق العشق في اطـار من ضبط النفس والطـاعة لأوامر الله •• وذلك عن طريق التأكيـد على الانفرادية لأن الانسـان ، في نظر اقبال ، كلما انفرد ، أقتبس من صفات الفرد الصمد ••

فينـال رتبة المستخلفين في الارض ، الذين أشـارت اليهم الآيـة

الكريمة (وجعلناكم خلائف في الارض) •• وأكدت عليهم الآية المباركة (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض)، (على ان تكون هذه الانفرادية في اطار الأعتصام بحبل الله المتين ، بدون تمزق او تفرق) •• (••• واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) ومن هذا المنجم الكريم صاغ العلامة اقبال قصيدته التى يخاطب بها الامة العربية •• فيقول •••

اعلموا ايها السادة : ان من ثار على شخصيته وكرامته ، وفقد الثقة بنفسه ، مات ومُحِيَ من الوجود • ومن فـرَّ من معسكره وانحاز الى صفوف الاعداء ، وتطفل على مائدتهم ، عوقب بالهوان والشقاء •• والطرد والجلاء ••

ثم يقول ••

مهلا ايها الغافلون •• اياكم والركون الى الأفرنج والاعتماد عليهم ، ارفعوا رؤوسكم وأنظروا الى الفتن الكامنة في مطاوى ثيابهم •• آلا انه لا حيلة لكم ولا وزر ، الا ان تطردوهم عن منهلكم وتذودوهم عن حوضكم وحياضكم ••

ان حكمة الغرب ، قد اسرت الأمم ، وتركتها سليبة حزينة لا تملك شيئاً ••

انها مزقت وحدة العرب ، واقتسمت تراثهم ••

ان العرب لما وقعوا في حبائلهم ، تنكر لهم كل شيء •• وقسا عليهم الكون ، وضاقت عليهم الارض بما رحبت •• وضاقت عليهم انفسهم ••

ثم يقول ••

(ان الله قـد رزقكم البصيرة النـافذة •• ولا تزال فيكم الشرارة كامنـة •• فقوموا أيهـا العرب •• ؟ وردوا فيكم روح الجهـاد مـرة أخرى •• ان منبع القوة ومصـدرها هو الدين • منـه يستمد المؤمن العزم والاخلاص واليقين •• وما دامت ضمائركم أمينة للسر الألهي •• فيا عمّار البادية •• أنتم الحراس للدين وأمناء الله في العـالمين ••) •

ان غريزتكم العربية الاسلامية ، ميزان للخير والشر ، وأنتم ورثة الارض ••(ان الأرض يورثها عبادى الصالحون) ••

اذا تألق نجمكم ، أفلت نجـوم الآخرين •• وطوى بسـاطهم •• لن تسعكم الصحراء والفيافي •• فاضـربوا خيمتكم في وجودكم الـذى يسـع الأفاق ••

كونوا أسرع من العـاصفة • وأقوى من السيل •• حتى تسـرع ركائبكم • مضمار الحيـاة ••

ليت شعري : من خلفكم في الحيـاة ؟؟ أن العصر الحـاضر وليـد نشـاطكم وكفاحكم •• ونبـع جهادكم ودعوتكم •• وما زلتم سادته حتى أفلت زمامه منكم •• فتبناه الغرب وأمتلكه ومن ذلك اليوم فقـد هـذا العصر وهـذا المجتمع الانساني سموه وكرامته •• وأصبح تحت ولايته منافقا خليعا ثائرا على الدين ••

فيا رجـل البادية •• ويا سيد الصحراء •• عـد الى قوتك وعزتك وأمتلك الايام •• وخـذ عنان التـأريخ •• وقـد قافلة البشرية الى الغـاية المثلى ••

(ويؤلم الشـاعر أقبـال أن يرى العـرب ، لا يزالون ينظرون الى

الاوربيين والأمريكان كأصدقاء مخلصين وأعوان منجدين •• على أمل أن يردوا اليهم أرض فلسطين فيقول) ••

(انا أعلم جيـــداً يا اخواني العرب •• أن النار التى شغلت الزمان وبهرت التأريخ ، لم تزل ولا تزال تشتعل في وجودكم) •••

صدقوني •• ايها السادة••انه لا دواء لكم في جنيف ولا في لندن ، لأنكم تعلمون ، ان اليهود لا يزالون يتحكمون في سياســة أوربــا ، ولا يزالون يملكون زمامها ••

ان الأمم لا تذوق طعم الحــرية • والاستقلال ، حتى تربى فيهــا الشخصية والاعتــداد بالنفس ، وتعرف لذة الظهور ••

ثم يختم قصيدته •• بلطف وأعتذار :

معذرة يا عظماء العرب •• لقــد أراد هــذا الهندى ، أن يخاطبكم ويقول لكم كلمة صريحة •• فلا تقولوا أيها الكرام : هندى •• ونصيحة للعــرب ؟!! ••

أنكم كنتم يا معشر العرب أسبق الامم الى حقيقة هذا الدين ، وانه لا يتم الاتصــال بمحمد (ص) ، الا بالأنقطــاع عن أبي لهب •• وانه لا يصح الأيمان بالله الا بالكفر بالطاغوت ••

رحم الله العــلامة اقبــال •• وأسكنه فسيح جناته •• ورزق الامة الاســلامية بأمثاله من الشعراء الافذاذ والمفكرين العظام وســلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً ••

والســلام عليكم ورحمة الله وبركاته ••

المحــامي

نور الدين الواعظ

فيلسوف الشرق

الكلمة التي القاها العلامة الجليل
الأستاذ خليل الله الخليلي
سفير الجمهورية الأفغانية في العراق
يــوم ٩/١١/١٩٧٧

في دار السفارة الباكستانية ببغداد بمناسبة الذكرى المئوية

لميلاد العلامة (اقبــال)



العلامة خليل الله خليلي

وهو يلقي خطابه في دار السفارة الباكستانية بتاريخ ٩/١١/١٩٧٧ بمناسبة الذكرى المئوية لميلاد العلامة (اقبال)

فيلسـوف الشـرق

من دواعي سروري وابتهاجي للاشتراك في هـذا الاحتفـال الرائع بذكـرى العـلامة الكبير فيلسـوف الشرق ، والشـاعر العظيم ، دكتور اقبـال ..

لقد كان لاقبـال في رقبتنا دين باهض تم تأدية قسط منه في هـذا الاحتفـال من خـلال صـديقي العزيز سعادة سفير الباكستان الاستاذ معز الدين أحمد .

ولاقبـال ايضـا حق لدى سـائر المسلمين ..

يؤسفني جـداً بانني دعيت متأخراً لهذا الاحتفال المهيب واني الآن ارتجل كلمات مختصرة وعاجلة .

لقد جاء العلامة الكبير اقبـال الى افغانستان قبل ٤٢ عاماً ..
كان مجيئـه حينـذاك بداية شيخوخته وريعـان شبابي ..
وفي هـذا الوقت فقـد شخت وظـل هو شـابا ..
وسيبقي شـابا مـدى الاجيـال ..
لمـاذا .. ؟
لأن عمر اقبـال لم يكن خاضعاً لمشيئة الزمان والمكـان .

وكانت صدفه حسنة ان اشاهده وهو في المدينة الاثرية غزني يزور ضريح ابي المجد سنائي غزنوى المبارك والسلطان محمود بن سبكتكين .
كان سنائي مرشـداً معنويا له ..

ان المربع الذى كون اضـلاعه الثلاثة سنائي والعطـار ، ومولانا

جلال الدين الرومي فقد كون ضلعه الرابع الفيلسوف المجيد اقبال ..

وان آثار اقبال الخالدة بينة كبيرة على ذلك ..

لقد شاهدت اقبال وهو يركض حافي القدمين صوب ضريح سنائي .

وما ان وقعت عيناه على مدفن فخر العارفين سنائي حتى كبر بصوت رفيع وهوى على الارض كالمجنون .

ثم طاف حول ضريح السلطان محمود وتلا الفاتحة .

كان ذلك جنون العشق وهذا طواف الاخلاص ...

مضى على محمود ألف عام وعلى عهد سنائي تسعمائة عام ..

لكن اللذة التي لمستها من حالة اقبال لا تزال تتعلق بأوتار قلبي ..

سيداتي .. سادتي ...

في هذه الليلة المباركة وفي قلب التراث التاريخي الاسلامي في بغداد دار السلام حيث العلماء والعرفاء والادباء العراقيون قد تحدثوا عن اقبال بكل اجلال وقارنوه بالبحر والسماء والشمس والقمر والفلك والنجوم ولقبوه بالفيلسوف والمفكر والمجاهد والشاعر ..

يسرني ان اشبهه ببلال القرن العشرين ..

لأن النداء الملكوتي له وسط امم التوحيد شبيه بأذان بلال ..

مع أذان بلال ، الأبن الحبشي تحطم في بيت الكعبة اللاة والعزى وهبل ..

ومع ترانيم بلال عصرنا فقد تحطم صنم الاستعمار في القارة الهندية ..

فإلى روحه العطرة روح بـلال عصرنا باقات من رحمة الله وبركاته الواسـعة ..

ولأن المجلس قـد اشرف على نهايته انهى حديثي لهذا الحـد ..

وأشكر سعادة سفير الباكستان وسـائر سفراء الدول الاسلامية وعلماء ومفكرى بغـداد الذين ساهموا في هـذا الاحتفال .

وللنابغة اقبـال رابطـة متينة ببغـداد لأنه هو وابوه وأمه كانوا ينتمون الى الطريقة القادرية ..

والشيخ عبد القادر من مفاخر هـذه المدينة التاريخية ..

والسـلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

بريالين (اقبـال) روشـن شـمعة فيـض

ان شموع الفيض تنـير مرقد اقبـال

القصـيدة الشـعرية

التي فاضـت بها قريحـة العلامة الشـاعر الافغاني الكبير الأسـتاذ خليـل الله خليـلي سـفير جمهورية أفغانستان ببغـداد باللغـة الفارسـية والتي بعث بها الى جامعة البنجاب في باكستان بمناسـبة الذكرى المئـوية لميـلاد العـلامة « اقبـال »

نقـلها الى العربيـة الأسـتاذ محمـد طـاهر أحـد منتسبي السـفارة الأفغانيـة ببغداد



صورة الشـاعر الكبير العـلامة

خليل الله خليلي

شاعر أفغانستان

بريانين (اقبـال) روشين شمعة فيض

ان شموع الفيض تنير مرقد اقبال

(القصيدة التي نظمها وبعث بهـا الى جامعـة البنجـاب)

العـلامة الأستاذ خليل الله خليلي سفير الجمهورية الافغانية في بغـداد وشاعر افغانستان الكبير لمهرجان اقبـال) •

لاح نسـيم الخـريف حـاملا المسك النقي
فتبسم أيهـا المصباح •• وأبتهجي أيتهـا الشمس

جـاء الرسـول محتضنا رسـالة لاهـور
رسـالة تحمـل تراتيـل الجنـة

رسـالة محبـة ترفـع على الرأس والعين
رسول حبيب يأمل قبلات المبشـارة بلا حسـاب

لاهـور موطن الأحبـة منـذ القـدم
وذكـرى الأحبـة غيـر بعيـدة عن البـال

أنهـا الخـلابة قصـة لاهـور وغـزني
فـلا تعبس من الحـق يـا صـاح

فقـد كـانت المدينتـان الهرمتـان منـذ الصبا
كلمتين من عبارة واحدة وبابين من كتاب واحـد

جاء الرسول وهمس في اذن خاطرى رسالة الحياة
وأروى العاشق المتعطش بشـارة ورود المـاء

قال : هناك أقام الأحبة مهرجاناً
مهرجاناً أم التحام كوكبة من الشيب والشبان

قال : ان شموع الفيض تنير مرقد اقبال
وكالفراشة تحوم حوله الاقمار والنجوم

ليت شعرى كيف يكون ميمتنا من نور الشمعة
من يشع من قلبه اشعاعات آلاف الشموس

في عصر اسود حين تحجبت ليلى الشعر
وتنقبت عذراء المعاني وجلة

في زمان ديست كعبة الحق بأقدام جنود الدجالين
واحتل الغراب عش طاووس الحياة

في عصر اسود حين كان الاستعمار سيد الشرق والغر
مالكاً للرقاب بين الشامخين

وخاصة بين احرار ديار « المصطفى »
قائد المواكب الأمي ، حامل أم الرسالات

حين سقطت سيوف المهمة من أيدى فرسان الحرب
والغيورين من حجاب الحرم كانوا في سبات

كان يوم معركة غير ان المحاربين ظلوا في احلام الغفلة
كان وقت حركة غير أن أجنحة العقاب كانت متكسرة

وعقـــول المفكـــرين مشتتة في المتـــاهات
واحتل اللفظ مكان المعاني، والقشور احتلت الألباب

مـــع جناح يقينـــه فقـــد المســـلم العظمـــة
وبقـــــدم الريبـــــة هـــوى في الحضيض

صـــــار اللص عسســـاً والمغيـــر متوجـــا
وخـــرت بيـــوت المـــلا من ظلمهـــم

« والخـــديوي » المعتـــوه والمـــلاح الغـــافل
مـــلا قدحي ملاذهما صهباء من دمـــاء المظلومين

دمـــر اختـــلاف أهـــل الســـلطة تمامـــا
المزارع بزمجرة النـــار ، والبيـــادر بطوفان المـــاء

والمـــرابي القـــاسي صـــاغ خلخـــال عشيقته
مـــن دمعـــة اليتيـــم البـــائس

والثري الفاحش صنع سرجه وركابه من دموع أرملة
فقـــدت خيـــلها جـــوعاً

في العصر الأسود ذلك حين كانت قطرات الدموع
تلمع كالدرر في تاج المنـدوب السـامي في الهند

وسيدة العـالم(١) التي لم تغب الشمس لحظة عن
امبراطوريتهـا :
تضـع على رأسها جبـل(٢) النـور في غـرور

في ذلك العصر الأسود ومن خلف استار الظلمـة
تجـلى فجـأة كـوكب سـاطع

كوكب «أقبال» المسلمين وقد لاح مشعا من الشرق
كـوكب قـرت العيـون والقلـوب بنـوره

كانت رسـالته القيمة تحتضن آثـار بن الخطاب
وتحمـل صفحتها المقدسـة خـاتم أبي تراب

اطلقها صرخة مدوية : اليومّ تنبـيـامين دلالا
أيتهـا الأمـة الراقدة
انهضي فقـد اطل الصباح
ولحدثي ثورة في الدنيـا

---

(١) سيدة العالم : ملكة بريطانيا فكتوريا آنذاك ..
(٢) جبل النور : كوه نور ــ اسم الماس الكبير الذي أخذه الانكليز من الأفغان ورصعوا به تاج الملكة ولازال لحد الآن ..

السيف في رقـاب الأحـرار خيـر من الطـوق
والمشـانق خير شموخ ورفعـة لأنسـان الحق

ليست في الاسـلام عبوديـة فمـزق فرمانهـا !
ليس في الاسـلام أسر فحطـم أغـلاله !

حطـم القفـل لأن منشـور الله بيـديك !
كسر القيود فلن تقف امام المؤمن قيود وحواجز !

الـى اين يـا رافـع رايـة الحـرم
هنـا منبـع الزمزم فالام تركض عطشـانا

أنت معمـار الفطـرة فاخلق بنفسك عـالمك
حـذار .. حـذار مـن جنـة الأجنبـي

بصرختـه تمـزقت جيب السـحر
وتزلزل الجرس ، واهتزت القافلة ، وتحركت سريعة

صرخـة كانت أم طـوفان عاصف زلـزل الأرض
صرخـة كانت أم برق محـرق مـزق السـحاب

أن الزهـاد عـزلوا المسلمين في زاويـة الجمود
فأعادهم « شيخنا » الى المعركة كالشباب اليافـع

لقد هتف : الجهاد هو فخر المؤمن في طريق الحق
ووسمة الدم في الصدر أبهى من الجوهرة الحمراء

أيها المجدد يامن زينت القصور القديمة
أيها المعلم يامن أنرت طريق الأدباء والاجداد

يا بلال عصرنا .. لم السكوت
تكلم .. فقد ضقنا ذرعاً واضطراباً

نادى « الا الله » لكي ترتج البروج
على وجه هذا البساط الرمادي ،
وتحت هذه القبة الزرقاء

تكلم ! علم ! تدبر ! كبر !
يا من في جبينك صبح الأمة ، لقد جاء الفجر فنور

افتح عينيك كي يهرب عفريت عصرنا
من نظراتك الثاقبة كهروب الشيطان من الشهاب

علم العبيد الجنون كي تصبح المظلة المرصعة
للسادة من صرختهم جوفاء كالفقاعة

وفي قنديل العرش اشعل فتيل العشق
لكي يميز السالكون الحقيقة عن السراب

علم شباب عصـرنا أسرار الاعتمـاد على النفس
حتى ينتزع التاج من افراسياب والجام من جمشيد

لكي يعـــرف فتن المتـــلاعبين في عصـــرنا
في أكفهم احجـار المحبـة وتحت ثيابهم الأفـاعي

حـــزمة شــــوك لــدى نثرتهـا عـلى تربتك
فصـــغ منهـــا بلطفك زهـــرة عطـــرة

نظرة في تراث اقبــال

THE LEGACY OF IQBAL

بحث الاســتاذ الدكتور حســين علي محــفوظ
أستاذ الدراسات الشـرقيةفي جامعة بغداد
وعضو مجمع اللغة العربية
بتاريخ ٩/١١/١٩٧٧ بمناسبة
الذكرى المئــوية لميــلاد واعظ المســلمين
الدكتور العلامة محمد اقبــال

نظرة في تراث اقبـال

بحث الأستاذ الدكتور حسين علي محفوظ

أستاذ الدراسات الشرقية في جامعة بغداد وعضو مجمع اللغة العربية

١٩٧٧/١١/٩

خدمت شبه جزيرة الهند (اعني الهند والباكستان اليوم) الانسان والعلم والحكمة والمعـرفة والفلسفة والادب والفن طـول التـاريخ فقـد سكنت هـذه الرقعـة العجيبة المدهشـة كل أجنـاس الناس واستقرت فيهـا كافـة الملل والنحل والأديان ، وآوت مختلف الالسنة واللهجات • ونشـأت فيها وحدها (١٦٥٢) لغـة •

وقـد انجب هـذا المثلث المقلوب الغاطس في المـاء الذى احاط البحر الثجاج بسـاقيه ـ من الامم والحضـارات والناس والرجـال والاعلام ما يكاد يعجز العد والاحصـاء والحصر عن الأحاطة به •

ولقـد احتضنت هـذه البـلاد الآداب الشرقية فوجدت اللغـة العربية فيها مواطن امـدت التراث العـربي بأمة من العلمـاء والأدباء والشعراء والمؤلفين وزودت المعرفة بألوف من الكتب والمؤلفات ملأت الدنيا وحفلت بها الخزائن ، ومحققين فلقوا العويص وبالغوا في التدقيق والتنقير • واكتفي بالاشـارة الى ان الشيخ المهـائمي ـ المتوفى سنة ٨٣٥هـ ـ الف رسالة استخرج فيها ٥٢٤ ، ٣٤٤ ، ١٢٨ وجها من وجوه الإعراب في قوله تعـالى : « ألم • ذلك الكتـاب لا ريب فيـه هدى للمتقين » •

واستطاعت اللغة الفارسية ان تنشيء فيها أدبا عامرا وشعراء فحولا بلغوا امارة الشعر وكتابا افاضل استطاعوا ان يصلوا الى زعامة النثر • واتيح للغة التركية ان تتنفس في ارجائها فأنجبت الفذ الفرد من الشعراء •

تعود معرفتي ببلاد الحكمة وموطن كليلة ودمنة الى عهد الطفولة ، فقد كان بعض حضور مجالس العلم وأماسي الأدب في بيتنا يحدث بطرائفها وعجائبها • وكنت أغالب النعاس في حجر الوالد حتى اغفو • ومازلت — وقد جاوزت الخمسين — احن الى تلك الذكرى ، واشتاق الى ذلك الحديث الحلو ، ويداعب خيالي هذا الحلم الجميل •

وسمعت بطاغور وانا طفل في السادسة — لما زار بغداد — في ربيع سنة ١٩٣٢ • وما زالت صورة الزهاوي العجوز الشاعر الفلسفي — وقد غلبه النوم — في انتظار رابندارانات من أجمل ما حفظت من صور وذكريات قبل ٤٥ سنة •

وعرفت الباكستان والهند جيدا في اوائل الخمسينات • فقد اهدى اليّ اصدقائي الجامعيون من البلدين في الخارج كل ما يتصل بالتاريخ والجغرافيا والحضارة والأدب والسياسة والحياة والفن من كتب ورسائل وكراريس • وكان الأدب ملتقى الجميع تجمعهم الدراسة ولا تفرقهم السياسة وكانوا جميعا يصادقونني وكنت احبهم واحترمهم وكانوا يحترمونني ويحبونني وهناك — وفي ذلك الحين — عرفت اقبال •

هذا وكنت اظن ان نقاد الأدب في الباكستان يبالغون في تعظيم اقبال ، ويسرفون في الاهتمام بشعره • والحق ان اقبال جدير بكل

تثمين وتبجيل • وانا لا اعرف شـاعرا طبعت دواوينه عشرات المرات غير اقبـال • وهو امر لم نسمع بـه الا في الكتب المقدسـة واشباهها من الصلوات والدعوات • وهـذا معناه ان شعره يقرؤه كـل من تظله سماء شبه القارة العجيب ممن تعلم بالقلم ، وقرأ الكتاب • وقـد رزق من الاحترام والتقـدير ان الملايين من المسلمين في شبه جزيرة الهنـد يعتقدون فيه ما تعتقده الامة في المرشد الملهم ، والباعث المحرر ، والقائد الرائد ، والمفكر المصلح ، والسياسي الموجه ، والفيلسوف المنقذ •

ترجمت آثار اقبـال الى عـدة لغات في حياته وبعد وفاته وكتب سيرته عـدد من العلمـاء والأدباء والمؤرخين ودرس ادبـه العـديد من النقـاد ، وانتشر شعره في الشرق والغـرب ، وهب ذكره هبوب الريح في كل مكان •

سمعت نخبا متفرقة من اشعار اقبـال كانت تقرأ في مجالس الأدب والشعر هنا وهناك قبل ربـع قرن ، وقرأت طرائف مختارة من دواوينه كانت تزين بعض الصحف والمجلات الأدبية في باكستان وايران واطلعت على اشتات من اقواله كانت تطبع في الكراريس والمنشورات وقد كانت كلها صورة مصغرة للشـاعر النابغة ، توجز محاسنه ، وتختصر فضائله وترى منه ما تريه النقطة المضيئة من النجم الكبير •

ثم اطلعت على كتـاب أقبـال الفلسفي المشهور « تجـديد بنـاء الألهيات في الاسـلام » الذى نشر بالانكليزية في سنة ١٩٣٤ وكتاب « ما وراء الطبيعة عند الايرانيين » الذى طبـع سنة ١٩٠٨ وعلى الرغم منَ اني كنت اتعثر في اعماق هذين الكتابين الذين اتذكر ان الصـدق

الفاضل السيد غلام رضا سعيدى صاحب كتاب (خطر اليهود) • دلني على احدهما وحثني على تصفحه فقد كانت مطالعة تلك الدراسة الفلسفية مرشدا الى عظمة أقبال والدليل الى منزلته ، ثم وصلت الي — من بعد — دواوينه ، وجمعت ما استطعت تحصيله من سيره ، وقرأت كل ما بلغني مما يتصل به •

اهتم العراق باقبال منذ زمان بعيد ، فقد احتفلت بغداد بيوم اقبال في آذار سنة ١٩٥٠ وكرمه جماعة من العلماء والادباء والشعراء ونقلت الشاعرة السيدة اميرة نور الدين داود الى العربية (درراً من شعره) طبعت سنة ١٩٥١ ، فقد ترجمت نماذج من دواوين اقبال الثلاثة (رسالة المستشرق)و(زبور العجم)و(جناح جبرائيل)•وكتب تلميذي بالأمس وصديقي اليوم السيد حميد مجيد هدو كتاب (اقبال الشاعر والفيلسوف والانسان) وقد نشره سنة ١٩٦٣ معتمداً كتب المرحوم الدكتور عبد الوهاب عزام خاصة ، واستشار بعض المصادر العامة وعمله هذا تلخيص جميل والمام سريع وسعي مشكور •

واتيح لي انا ان ادرس (تراث آقبال) و (العناصر العربية في شعر آقبال) وبادرت (حياة آقبال وادبه) وحاولت جمع (أمثال وحكم اقبال) واستخرجت (مآخذ اقبال من القرآن والحديث) •

ولد اقبال في بلدة (سيالكوت) في (البنجاب) بالقرب من مدينة (جناب) في ٢٢ شباط سنة ١٨٧٣ (٢٤ ذي الحجة سنة ١٢٨٩هـ)، وكان اجداده من براهمة كشمير • وقد أسلمت اسرته قبل اكثر من

قرنين • وهــاجر جـده الشيخ محمد رفيق الى لاهور ، وكان والده الشيخ نور محمد من رجالهـا المحترمين ، وكانت امـه امام بي بي من عقـائل السيدات •

تعلم أقبـال مبـادىء العلوم في سيالكوت وذهب الى لاهـور لأكمال التحصيل فدرس فيها الفلسفة • وكان من أساتذته شمس العلماء مـولانا السيد مير حسن والسير آرنولد وكان مرشـده في الشـعر الاردوى ملك الشعراء داغ الدهلوى •

وسـافر أقبـال الى اوربا سنة ١٩٠٥ ولبث فيهـا ثـلاث سنين فدرس في كمبرج بانكلترة وهايدلبرك ومونيخ في ألمـانيا • وقـد اطلع في الغرب على آثار عـدد من الفلاسفة والشعراء والكتـاب الاوربيين منهـم : (لاك) و (كـانت) و (شـوبنهاور) و (ونيتشـه) و (انشـتاين) و (كـوته) و (تولسـتوى) و (بـايرون) و (بركسون) • وقـد خـالف بعضهم اشـد المخالفـة ، واقتبس من بعضهم ، وعارض الآخـرين •

وأثر في أقبـال من شعراء الفارسية متصوف الشرق جلال الدين الرومي المولوى صـاحب المثنوي ، الـذى كان المستشرق نيكلسن ــ حينئذ ــ يهتم به ويعني بترجمة كتابه العرفاني •

وعاد اقبـال الى البنجاب وقد اختلط في رأسه المشرق والمغرب ، والقديم والجـديد ، والتراث والعصر ، والأدب والفلسفة ، والصناعة والعلم ، وقـد استولت على مشـاعره قضية بـلاده وامتـه ، وذكره

الغرب بمسألة الشرق . فدعا الى نغمة الحرية ، ونعيم الاستقلال ، وتكسير اغلال الاستعمار .

كان أقبال شاعراً ملهما ــ حقا ــ ومفكراً مقتدرا ومرشدا بالغا . احاط بالدراسات الشرقية والعلوم العربية واطلع على الثقافة الغربية والفكر الأوربي .

استمد اقبال أفكاره من (القرآن) و (الحديث) و (التاريخ) وتأثر في المثنويات بالمولوي وهو رائده في سفره العقلاني الى عالم الارواح ، وسائقه في رحلته المعنوية الى الآفاق ، ودليله في معراجه الى الأفلاك وقد سماه في اشعاره « الرومي » .

وقلد في الغزل سعدى وحافظ ، وسلك في الرباعيات مسلك بابا طاهر العريان ، ونهج في نظم (گلشن راز جديد) بنهج الشبستری ويبدو في منظومه اثر النظامي الگنجوی ، وفخر الدين العراقي ، والمنوجهری وناصر خسرو .

وللنقاد في اسلوب اقبال رأيان مختلفان . ذهب فريق الى انه وارث الاسلوب الهندی وانه آخر شعراء هذه المدرسة في التعبير . وهم يعدونه خليفة (عرفي) و (فيضي) و (ظهوری) و (نظيری) و (بيدل) و (صائب) و (كليم) و (غالب) . وينسبه آخرون الى طريقة (السنائي الغزنوی) و (العطار النيسابوری) و (المولوی) و (العراقي) و (الاوحدی الكرماني) و (كمال الدين الخجندی) .

واذا صح ان يكون لي رأى ثالث فان لاقبال اسلوبا خاصا جديدا ، ربما فضلت ان أنسبه اليه وقد اؤثر ان اسميه اسلوب اقبال وأنا أضيف هذا المذهب الرابع الجديد الى الاساليب الشعرية الثلاثة من مدارس الادب الفارسي واظن ان مؤرخي الادب يوافقونني ان اقبال هو مؤسس هذا الاسلوب ورائد هذه المدرسة وانه امام هذا المذهب البياني ، الذى عمدة عناصره الفكر العميق ، والتعبير القاصد ، والبيان الواضح ، واللفظ المعبر ، والاشارة المبينة ، والمعنى الشريف ، والهدف النبيل •

كان اقبال شاعراً عميقاً لم يتخذ اللفظ زينة ولم يستعمل الصنعة صبغة • وانما جعل الألفاظ وسيلة للتعبير ، وقالباً للمعاني وسلماً الى المقاصد •

واذا كان للملهمين من عظماء الشعراء اسفار خيالية في العالم العلوى ، واذا كتب المعرى (رسالة الغفران) ، واذا نظم السنائي (سير العباد الى المعاد) ، واذا قرض الاوحدى (مصباح الارواح) ، واذا كان لابن العربي (كتاب المعراج) ، واذا نظم (دانتيه) (الكوميديا الألهية) ، فقد صحب اقبال المولوى وسافر الى العالم الاعلى ، ونظم (جاويد نامه) ، فزار الافلاك ، وسمع زمزمة النجوم ، وطار الى القمر ، ووصل الى عطارد ، وبلغ الزهرة ، وعرج الى المريخ ، وصعد الى المشترى ، وانتهى الى زحل ، ودخل الجنة •

شاهد ــ في سفره العقلي ، ورحلته الروحانية ــ الارواح ، وكلم العلماء ، وخاطب الشعراء ، وجاور الادباء ، ولاقى العظماء ، ومر بوادى

الطواسين ، ودغدغت اذنيه نغمات الملائكـة ، وسمع السموات تلحى الناس وتلوم عـالم التراب .

وعلم هنـالك ان واجب الانسـان هو خلق العـالم الجـديد في الارض ، وبـذر العلم ، وزرع الحب ، وافشـاء السـلام والوئام ولاقى في الفلك الخـامس عذراء المريخ ومتنبية السماء ، وطرق سمعه انين ابليس ورأى النار تطرد الخائنين ، وتنبذ الغادرين ، وتلعن اعداء الامة ، وشاهد الارواح الملعونة في بحر الدم ، ورأى ما راى فيما وراء الافلاك ، فخاطب الجيل الجديد ، ونصح النسل القادم ، ونادى باغتنام الوقت ، والسعي للحيـاة ، والعمـل الدائب ، في سبيل الامـة التي تدير نفسها ، ولا تهن للغير ، ولا ترضى بالفقر ، ولا تقنـع بالفاقـة ، ولا تتبدل باللباس المرقـع ، ولا يجـاهد افرادها لكي يغنوا العـدو ويشبعوا الأجنبي .

كان أقبـال ــ في شـعره ــ شـاعر الحيـاة ونصير نظـرية (الفن للمجتمع) . والشاعر عند اقبال هو حـادى الامة الى الحيـاة الحرة ، سـائقها الى الكرامة ، والشعر عند اقبـال هو نغمـة هـذا الحـادي ونشيد ذلك السـائق . وللشعر في نظر أقبال رسالة وغاية .

كان اقبـال يكلم النـاس بالفارسية والاردوية والانكليزية وكان يعرف العربية وقـد تعلم الألمانية فقـد كانت الاردوية لغة المحـاورة والكلام ، والعربية لغة العلم والدين ، والفارسية لغة الأدب والشعر : والانكليزية لغة الدراسة والحكم ، والألمانية لغة الدكتوراه .

وقد جند شعره بالفارسية والاردوية لتحقيق رسالته ونشر أفكاره •

خلف اقبال خمسة دواوين باللغة الفارسية ، تبلغ أوراقها جميعا (١٠٢٨) صفحة ، ونظم اربعة دواوين باللغة الاردوية تبلغ معا (٦٩٢) صفحة وهو تراث شعرى عظيم •

يشتمل هذا المجموع الكبير من الشعر على ألوف المعاني الاصيلة ، والافكار الجديدة ، والمضامين البديعة ، هي ــ في الحقيقة ــ فلسفة اقبال ، ورسالة اقبال ، وادب اقبال •

ليس سهلا على الباحث ان يوجز فلسفة أقبال ، وليس يسيراً على الدارس ان يلخص دعوة أقبال ، وليس شيئاً هينا ان يقوم شعره وأدبه • ولكنني استطيع ان اقول ان رسالة أقبال هي شعره ، وان شعر اقبال هو قالب فلسفته ، وان فلسفة اقبال هي دعوته ، وان دعوة اقبال هي هدفه ، وان هدف اقبال هو الانسان يعرف نفسه ويحترم الانسانية ويسعى لبناء الامة ، اى ان الفرد كيان الامة وهي تنطوى فيه ويفنى فيها ليحيا فيها وتحيا فيه •

والحق ان شعر أقبال هو الانموذج الوحيد في تاريخ الأدب الذى يكون الادب فيه رسالة ، وتكون الرسالة فيه بلغة الشعر • ويكون الشعر فيه لسانا للدعوة • وتكون الامة فيه موضوع الدعوة • وتكون الحياة عنوان الموضوع •

ان أساس التقدم في رأى اقبال ، هو النظر المحقق ، والعقل

الفعال ، والصناعة المبدعة ، والعمل المستمر ، والفرد الخلاق ، والحركة الدائبة ، والامة الحية ، والوحدة المرصوصة ، والتعاون النافع ، والانسانية الشاملة ، والحياة الافضل ، او الموت بالعار • كان يطمع ان يعرف اهل الشرق ، قدر الشرق •

كان اقبال ينظر الى (الانسان) ويفكر في هذا (الكل) ، ثم وجه وجهه للمسلمين ، ثم نظر في الهند ، ثم اقترح تشكيل الدولة الاسلامية ، التي ولدت الباكستان في ١٤ آب سنة ١٩٤٧ بعد مخاض دام سبعة عشر عاماً •

تأثر اقبال بالتراث العربي والاسلامي واحب اللغة العربية وامده ماضي العرب وتاريخ الاسلام بكثير من مادة الشعر وعناصر الالهام • فان (محمداً) النبي العربي في شعره هو الانسان العظيم والرجل الاكبر ، والمثل الأعلى والرائد القائد ، وقد تكرر ذكر الرسول في دواوينه ١٤٣ مرة ، وذكر الحجاز ٤٤ مرة ، وذكر الحرم ١١٤ مرة ، وذكر العرب ٥٩ مرة ، وذكر العراق ١١ مرة • وانتشر في ديوانه من اسماء بلاد العرب ذكر البحر الأحمر ، والمسجد الاقصى ، وبدر ، والبطحاء ، وبغداد ، وحلب ، وسيناء ، والشام ، والطور ، والكعبة ، وخيبر ، والفرات ، وفلسطين ، والكوفة ، والمدائن ، ومصر ، ومكة ، ونجد ، والنيل ، ودجلة ، ويثرب ، واليمن ، والاندلس ، وبابل ، وجدة ، والرياض ، وسوريا ، وطرابلس ، وقرطبة ، والمدينة ، والنجف ، تلهمه كل بقعة معنى ، ويوحي اليه كل مكان مقصداً •

وسمى رابــع دواوينــه الاردوية ، وخــامس دواوينه الفارسية (ارمغان حجاز) اى (هدية الحجاز) وخاطب الامة العربيــة في ديوانه (الى امم الشرق) ، ووجــه قصيدة الى رســول الله ، ونظــم قصيدة في الزهراء سيدة النساء ، والمرأة الأسوة ، وله في الاندلس ، وفلسطين وطرابلس والثورة العربيــة وشؤون العرب شعر كثير •

احب اقبــال العرب ، وفكر في قضيتهم ، وشــارك في جهــادهم وثورتهم من أجــل الحرية والاستقلال والوحــدة • وكان آخر ما قاله وهو يودع الحيــاة رباعيــة عبر فيها عن شوقه الى نغمــة الحــادي ونسيم الحجــاز •

كان اقبــال مهتما بالشرق ، يستقصي شؤونه ، وتشغله قضــاياه ، فقــد سرته نهضــة العرب وابهجته مشروطة ايران ، وافرحه انتصــار اليابان ، وتهلل ليقظة الافغــان • واسس مدرسته السياسية على الآية الكريمــة التي تــدعو الى التطــور في سورة الرعد : « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » • وقــد دعا من أجل ذلك الى الحركة والفتوة والرجولة والسعي ، وكان شــعاره : ليس منــا من لا يقتــل في هــذا السبيل • وعــلى هــذا بنى فلسفته في الــذات التي سماها (خودي) • وهي التي سماها فلاسفة القرن التاسع عشر (Ego)و (Moi) وهي في شعر أقبــال : ان الانســان ما دام حيــا ، ومادام موجودا ، لابــد ان تنفث فيــه روح الشخصية والاستكمال ، والأستقلال ، ولابد ان يدخــل في تصــوره انه لا يمكن ان يقف على قدميــه اذا لم يعرف نفســه ولم يعرف قدره • فلابد ان يغرس فيــه

حب الحياة ، والأمل الرفيع ، والرجاء الحي ، الذى يرفعه من الحضيض ويعلو به الى الأوج • والانسان في فلسفة اقبال هو مركز الفلسفة ، ومحور الفكر •

ان حقيقة أدب اقبال هي فلسفة مبناها كمال الفرد في اطار الامة ، ودعوة مرامها حياة الشرق في نعيم الحرية ، ورسالة غايتها وحدة المسلمين في ظل التوحيد ، وسياسة هدفها نهضة الهند تحت راية الاستقلال ، وفكرة خلاصتها علو الانسان في مستقر الكرامة •

وان مدينة أقبال الفاضلة هي وطن بلا حدود ، وزمان بلا نهاية ، وبحر متصل الموج • وهو يرى ان الدمعة التي طفحت اعين الامم المظلومة ، لابد يوماً ان تنبت الورد في الشوك • وان شراب الحياة لابد يوماً ان تضرم قطرة منه النار في الرماد ، وان يوقد شررها التراب الهامد •

كانت لأقبال نظرية مخصوصة في الزمان ، والمكان ، ونظرية في الدنيا والدين ، ونظرية في السياسة والحياة ، ونظرية في المجتمع والفرد ، وكان له رأى خاص في الأدب والفن ، ورأى في التصوف والحكمة • وقد عبر أقبال عن آرائه كلها بلغة واضحة ، وبيان سهل ، وأسلوب منطقي • ثم هو ـ بعد ـ عقل مفتوح يقبل التبديل والتغيير في الرأى والحكم تبعا لسنة التطور ، وتقدم المعرفة ، وهيمنة العلم •

كان اقبال يؤكد اهمية العلم ويعزو اليه كل خير • فالعلم هو الجناح الى أوج الأفلاك وكان يقول : ان قالب البدن يجب ان لا يحول دون صعود الفكر الى العالم العلوى ، ويجب ان لا يمنع عن

الوصول الى السموات ، وليس القرب والبعد ، والزمان والمكان الا مظاهر خادعة من مظاهر الوجود • وليس النهار والليل الا حلقتين في سلسلة الوقت هما صورتا الزمن ووجها الحياة • والشمس والنجوم والكون كلها دائبة في حضن الزمان ، الذى كل شيء ذرة من غباره ، ولمعة من شرارة ، وهو يقول : ان الزمان كسوة الانسان وثوب الرحمن وهو مزرعة الازل ، وقنطرة الابد ، والطريق الى الحياة الخالدة • والموت الذى نعده نهاية هو ـ في الحقيقة ـ بداية الحياة • والسفر الذى نحسبه اقامة هو قافلة الوجود في جادة التكوين • وليس السكون في هذا الدرب الا خدعة ، وليست الوقفة في هذا المرتحل الا كذبة والانسان في هذا المضطرب هو خليفة الله الخلاق • وهو نقطة الاشراق في ضمير الآفاق • هو مظهر تجلي الرب الذى خلق الانسان على صورته ليطيعه فيكون مثله ، وهو الأنموذج الاصغر للعالم الاكبر ، تنطوى فيه مئات العوالم والاكوان والاسرار •

ان الانسان ـ وان كان اسير اليوم والغد ورهين الليل والنهار ـ فهو بداية ذلك الطريق الطويل ، وما الحياة الا سر من اسرار الوقت ، وما الصباح الا طلعة ذلك الجمال وصورة ذلك الكمال ، في ضميره تنفس ، وفي قلبه خفق •

والذات هي تمثال الوجود ، والحياة مستترة في سعيه ، والرجاء مفتاح السعي والعمل طلسم الأمل •

العمل هو جذوة الحياة ، والعلم هو شواظ تلك الجذوة ، والجذوة هي الوحدة التي كل المؤمنين فيها اخوة ، تربطهم المساواة

وتجمعهم المؤاخاة ، لاتفرقهم حدود ، ولا يحصرهم مكان ، ولا يشتتهم جنس ، ولا يقسمهم لون ، ولا يبددهم عنصر . تشد ازرهم المحبة والصداقة والألفة والحق والنظام ، والحكمة ، والرحمة ، وهــذه هي جمهورية اقبــال الفاضلة ، والحكومة العــادلة ، التي شعارها « الانســانية : احترام الانســان ومعرفة قيمة الانســان » .

ثم ان التاريخ في نظر أقبــال ما هو الا حكاية وقصــة واسطورة ، والايام ثياب نلبسها ، خياطها تلك السلسلة من الاســاطير والروايات . والحيــاة الازلية هي اتصــال الازمنة الثلاثة ، رابطتها المحبة والعشق ، وحب الحيــاة ، والحركة من اجل الحيــاة ، ومصارعة الفناء من اجل البقاء ، وصنع اليوم ، والطيرورة الى الغد . وعمارة كيان (الانسان) — وهو بنيان الله في الارض — هو شغل الانســان . فالماضي مصــدر الحــال ، والحــال ينبوع المستقبل .

هــذه مظــاهر من حيــاة أقبــال وسيرته وفلسفته وأفكــاره وأدبه وتراثه وهي لمعــة من سراجه الوهــاج ، وبصيص من برقه الذى يخطف الابصــار .

والحق ان اقبــال هو خلاصة ثلاثة عشر قرناً من تاريخ الاســلام في الهند . وهو أمة في ثياب رجــل ، وهو رجل احيــا امة ، رحمه الله ، وبوركت أمته العظيمة وشعبه الوفي .

الدكتــور

حسين علي محفوظ

المصــــادر والمراجع

ا ــ العربية

١ ــ القرآن الكريم

٢ــ أحــاديث الرســول (ص)

٣ ــ فلسفة اقبال والثقافة الاسلامية في الهنــد وباكســـــتان — محمد حسن الأعظمي وعلي شعلان الصــاوي

٤ ــ تجديد التفكير الديني في الاسلام — ترجمة عباس محمود العقاد

٥ ــ مجلة الوعي ــ عدد أبريل/١٩٥٣ — أحمــد أمين

٦ ــ محمد اقبال الصفوة من كبار الكتاب — الدكتور طه حســين

٧ ــ محمد اقبال سيرته وفلسفته وشعره — الدكتور عبد الوهاب عزام

٨ ــ حفل احياء ذكرى محمد اقبال — الدكتور محمدحسن الزيات

٩ ــ روائع اقبــال — ابو الحســن الندوي

١٠ــ من الســماء — حسين مجيب المصري

١١ــ باكســتان ماضيها وحاضرها — الدكتور حقي

١٢ــ رســالة الخلود (جاويد نامه) — الدكتور محمد جمال الدين

١٣ــ اقبــال الشــاعر الثــائر — نجيب الكيلاني

١٤ــ اقبال الشاعر والفيلسوف والانسان — الدكتور حميد مجيد هدو

ب ـ الاجنبية

(B) REFERENCE

(1) *Introduction to the Thought of Iqbal,* trans. from French by M.A.N. Dar.

(2) *The Place of God, Man and Universe in the Philosophic System of Iqbal* by Dr. Jamila Khatoon.

(3) A *Bibliography of Iqbal* by Kh. Abdul Waheed

(4 A *Vaice from the East* by Zulfgar Ali Khan.

(5 *First Principles of Gducation* by Dr. Rafludin.

(6) *Glimpes of Iqbal* by S.A. Vahid.

(7) *The Political Thought of Iqbal* by Mohammad Abdul Rahim.

(8) *Historical Background of Pakistan* by S.A. Mannan.

(9) *Iqbal Deshe Bidshe* (Part I & II).

(10) *Iqbal Art and His Thoughts.* by S. Abdulwahid.

(11) *Iqbal As A Thinker* SH. Muhammad, Ashraf Kashmiri Bazar , Lahoor (Pakistan) .

(12) *Iqbal Review,* Dec. 1976.

(13) *Letter of Iqbal to Jinah,* Lahoor Ch. Muhammad Ashraf 1974 Re — Printed.

(14) *The Development Philosophic of Mitaphysic in Parsia* by Kamaludin Khan.

طبع بموافقة وزارة الاعلام تحت رقم ٨٩٨ في ٥/١٢/١٩٧٧
١٠٠٠/١

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ١٤٣١ لسنة ١٩٧٧